شعارنا الوحيد إلى الإسلام من جديد
٩٥٧
١٠٥٢٦

العدد السابع

المجلد ٣٦ — ربيع الأول ١٤١٢هـ — سبتمبر و أكتوبر ١٩٩١م

البعث الإسلامي

مجلة إسلامية شهرية

تصدرها:
مؤسسة الصحافة والنشر

72866 — 78864

REGD No. LW /RP 59

ALBAAS-EL-ISLAMI

صدر حديثاً :

أبو الحسن علي الحسني الندوي

مستقبل الأمة العربية الإسلامية بعد حرب الخليج

دروس وعبر يجب أن ينتفع بها

وفجوات وثغرات يجب أن تسدّ

ملتزم النشر و التوزيع
دار عرفات للترجمة ، والنشر والتوزيع
دارة الشيخ علم الله ، رائى بريلى (الهند)

قام بالنشر و التوزيع جميل أحمد الندوى من مؤسسة الصحافة والنشر ندوة العلماء
رئيس التحرير : سعيد الاعظمى

بسم الله الرحمن الرحيم

أنشأها :

فقيد الدعوة الإسلامية الأستاذ محمد الحسني رحمه الله في ١٣٧٥هـ ١٩٥٥م

البعث الإسلامي

رئاسة التحرير :

سعيد الأعظمي الندوي

واضح رشيد الندوي

العدد السابع — المجلد السادس و الثلاثون

ربيع الأول ١٤١٢هـ — سبتمبر و أكتوبر ١٩٩١م

المراسلات :

البعث الإسلامي

مؤسسة الصحافة والنشر ص.ب ٩٣. لكناؤ. الهند

ALBAAS-EL-ISLAMI C/o. Nadwatul Ulama
P O Box 93. Lucknow (INDIA)

إلى الاخوة القراء

بمشيئة الله تعالى و توفيقه دخلت المجلة

فى عامها **السادس و الثلاثين** ،

و لا يسعنا نجاه هذا التوفيق الكريم إلا أن نحمد الله سبحانه و تعالى و نشكره بصفة دائمة ، على ما أكرم به إيانا من الاستمرار فى خدمة البعث الاسلامى ، و نرجو أن يؤيدنا بالاستقامة و الثبات و الصمود فى هذه الجبهة الدقيقة ، و خاصة فى الظروف الحالية الحرجة التى تتعرض لها الأمة الاسلامية، وهى أخطر و أدق مرحلة من تاريخها الحاضر ، و إن أدنى خطأ فيها يوديها إلى نتائج مريرة و وخيمة جداً ، لا يعلم مداها إلا الله ، فلندع الله أن يثبتنا على الجادة ، و يأخذ بأيدينا لأداء أمانة الكلمة و القيام بها فى هذه المرحلة الدقيقة التى تزل فيها الأقدام و تتثبط فيها الهمم « ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم » .

الاشتراكات السنوية :

★ فى الهند : ستون روبية

ثمن النسخة ست روبيات :

★ فى العالم العربى وفى جميع دول العالم .

١٨/ دولاراً بالبريد السطحى .

و ٣٥/ دولاراً بالبريد الجوى .

عنوان المراسلات :

مكتب البعث الاسلامى ،

(مؤسسة الصحافة والنشر)

ندوة العلماء ص . ب ٩٣

لكناؤ (الهند)

ALBAAS - EL - ISLAMI
C/o. NADWAT UL ULAMA
P. O. Box : No. 93.
Lucknow. (INDIA)

★ المجلة غير ملتزمة بكل فكر ينشر فيها .

في هذا العدد

★ الافتتاحيـــــــــة

المسلمون بين حروب الابادة و بوارق الانتصار — سعيد الأعظمى — ٣

★ التوجيـــــــــه الاسلامى

خلق السماوات و الأرض — معالى الدكتور راشد عبد الله الفرحان — ١٠
المد و الجزر فى تاريخ الاسلام — سماحة الشيخ السيد أبى الحسن على الحسنى الندوى — ١٧
هل للعقل موطن غير القلب — دكتور محمد بن سعد الشويعر — ٢٤

★ الدعوة الاسلاميـــــــــة

المنهج الاسلامى لمشكلة التعليم و التربية — الأستاذ على عبد الموجود القاضى — ٣٠
فاكهة المجالس ، الغيبة — دكتور عمر يوسف حمزة — ٣٨
شرف الدين البوصيرى فى قصيدته الميمية — الأستاذ المحقق أبو محفوظ الكريم معصومى — ٤٧

★ الفقـــــــــه الاســـــــلامى

تشريع النفقة فى ضوء الكتاب و السنة — فضيلة الشيخ القاضى مجاهد الاسلام القاسمى — ٥٨
نظام القضاء الشرعى فى الدول غير الاسلامية — الأستاذ عتيق أحمد القاسمى — ٦٤

★ فى الأدب الاســـــــــــلامى

باكثير فى ملحمة عمر — السيدة سامية وفاء بنت عمر بهاء الأميرى — ٧٠
أحمد حسن الزيات : الكاتب الفنان — البروفيسور محمد راشد الندوى — ٧٨

★ الثقافة الاسلامية فى الهنـــــــــد

التفسير و المفسرون — الدكتور يونس النجرامى — ٨٣
نظرة على تاريخ المسلمين فى نيبال — دكتور حفظ الاسلام خان — ٩١

★ أخبار اجتماعيـــــة و ثقافيـــــة

المخيم التربوى الثانى لرابطة الطلاب المسلمين . . . — قلم التحرير — ٩٤
الندوة الفقهية الرابعة فى حيدر آباد (الهند) — » » — ٩٥
العدد ٢٣/ من مجلة « الجامعة الاسلامية » — » » — ٩٦
عدد ممتاز لمجلة « البلاغ » الشهرية — » » — ٩٧
الشيخ سلمان خان الندوى ، فى ذمة الله — » » — ٩٩

الافتتاحيـــــــــة :

المسلمون بين حروب الابادة و بوارق الانتصار

فى محاولات القضاء على الاسلام واجه المسلمون فى أجزاء العالم الكثيرة حروب إبادة مخططة من قبل القوى الحاقدة على الاسلام، و لقد كانت الثورة البلشفية الماركسية قد مهدت الطريق نحو هذه الابادة و شجعت الدول المادية على تضييق الخناق على الاقليات المسلمة فى جميع أنحاء العالم، و هى و إن كانت تختلف فيما بينها فى نظراتها و فلسفاتها الحضارية و السياسية ولكنها كانت تتحد فى قضية رمى المسلمين بسهام مسمومة من العدواة و البغضاء .

لقد كانت طريقة الابادة و التصفية الجسدية أمضى سلاح لاذابة المسلمين عقائدياً و خلقياً ، و صهرهم فى بوتقة الانحلال و الاسفاف الخلقى و قطع صلتهم عن شخصيتهم الاسلامية بتاتاً ، لكن كان ذلك طريقاً شاقاً و طويلا ، فجاء الغزو الفكرى يبذر بذور الشك و الارتياب فى نفوسهم و يزعزع أسسهم الايمانية ، و يقلب أفكارهم النقية المشرقة بأفكار هزيلة مظلمة .

و قع المسلمون فريسة هذا الغزو أيام ازدهار الفلسفات الثورية و نشاط أهلها . و بذلك خسروا كثيراً من معنوياتهم و ميزاتهم ، فقد فرض عليهم الحظر من وراء الستار الحديدى عن أن يمارسوا شعائرهم الدينية ، و أغلقت أبواب المساجد عليهم لكى لا يتسنى لهم أداء الصلوات و قراءة القرآن . و يتم كلياً قطعهم عن دراسة كتاب الله و الاتصال بالمفاهيم الدينية ، لقد تم كل ذلك تحت شعار الفلسفة الماركسية و فى مهد الشيوعية و مولدها، الاتحاد السوفياتى ، و لكن العالم لم يطلع على أى شئ من ذلك، لأن ساسية تكميم الأفواه و تأميم الاعلام بكامل وسائله

و أجهزته لم يسمح بتسلل أخبار الكبت و الاضطهاد و فرض الحصار و الحظر إلى العالم الخارجى ، فلم يطلع الناس على ما جرى هناك من حرب الابادة بأشكالها المختلفة .

و سارت الدول الاشتراكية التى تطفلت على مائدة الفلسفة الماركسية ، و تلمذت على أساتذتها الكبار ، على شاكلتها ، و اتبعت سياسة الاضطهاد و الكبت و شنت حرب الاذابة و الابادة على الأقليات الاسلامية فيها ، و هى بذلك انضمت إلى المعسكر الشيوعى و ظنت أنها ستكون ذات شأن كبير يوم تكتسح هذه الفلسفة العالم بكامله ، و تجمعه حولها لتوزيع خيراتها و ثرواتها و سيكون لها المستقبل اللامع فى كل مجال ، ولكن هذا الحلم لم يتحقق رغم طول الانتظار ، ومع مضى مدة طويلة ، و طالت فترة الأمل و التطلع إلى مستقبل باسم سعيد ، ولكن دون جدوى ، و من هناك تسربت إلى النفوس شكوك و ريب حول صدق ما نسج من أساطير السعادة و الغلبة و الرفاهية التى تتولى نشرها فلسفة الشيوعية ، و ظهرت دلائل الثورة ضدها و بدأ الناس يشمئزون منها و يتضايقون ، كأنهم يعدون لثورة عامة .

الواقع الذى لمسه بعض كبار المسئولين فى الاتحاد السوفياتى و توصلوا بعد ما درسوا الوضع بعين الاعتبار إلى نتيجة أن القضية ليست هينة ، و أنه لا بد من إعادة النظر فى فلسفة الشيوعية التى قامت على أساس المساواة الاقتصادية و العدل الاجتماعى و نادت بمصالح الطبقة الكادحة و مطالبة العدل بين أفراد الشعب ، و إلغاء الملكية الفردية و الحرية الدينية و هدم شعائر الدين .

و لعل رئيس الحزب الشيوعى يومذاك غورباتشوف كان يتناول القضية بالدقة و الجدية و كان واقعيا عكس أسلافه الخياليين ، فأدرك أنه قد آن أوان الانفتاح لفلسفة الشيوعية ، و أن عقارب الأحداث تشير إلى ثورة عارمة مهيأة للانفجار ، فاذا لم يتدارك الأمر تفوته الفرصة و ينفلت الزمام من يده فتعقبه الحسرة و الندامة و لا تكون ساعة مندم ، و هنالك اتخذ طريق « البروستريكا » الذى يعنى إعادة البناء و تدارك الخطأ بالصواب ، فلم يكن من نصيب هذه الفلسفة الخاذلة إلا العودة إلى غياهب الماضى و الالتجاء إلى مزبلة التاريخ ، و عقب ما أعلنوا

التخلى عن مبادئ الشيوعية والعودة إلى الطبيعة الأصيلة ، و منح الحرية الدينية للمسلمين و رفع الحظر عن أداء شعائره و احترام تعاليمه ، انتفض المسلمون من خمولهم إلى حياة التدين و الايمان ، و عادت إليهم روح العقيدة و العمل علناً و جهاراً و فتحت المساجد و نالت الطبيعة الدينية طريقها إلى القول و العمل .

و انتهى بذلك دور الكبت و الاضطهاد الشيوعى و تنفس المسلمون الصعداء فى الاتحاد السوفياتى و فى الدول التابعة له ، و ثار الشعب ضد الحكام الشيوعيين و جردوهم عن لباسهم المزيف الذى ارتدوه من زمان ، و تكشفت وجوههم الكالحة للعبرة ، و علم الناس بجناياتهم الكبيرة التى ارتكبوها فى مجالات الحياة كلها ، واطلعوا على ما كانوا يمارسونه من جرائم خلقية و اجتماعية ، وذلك كادخار قناطير مقنطرة من الأموال بطرق غير شرعية ، و الانغماس فى الترف و النعيم مما لا يحلم به الأباطرة ، و كبار الملوك ، و كل ذلك باسم المساواة الاقتصادية و العدل الاجتماعى و إلغاء الملكية الفردية ، و من هنالك كان الطريق إلى الثورة ممهداً ، فتحققت و تمثلت للناس باسم « البروستريكا » الجميل و تخلص المسلمون من رحى حرب الابادة التى دارت عليهم مدة طويلة .

أما ألبانيا تلميذة الاتحاد السوفياتى النجيبة والنسخة الصادقة للفلسفة الاشتراكية البلشفية فقد عاش فيها المسلمون إلى أكثر من نصف قرن فى كبت و اضطهاد و تجريد عن جميع الخصائص الاسلامية و العقائد الايمانية ، و ظل الاسلام فيها مفروضا عليه الخطر و محارباً من كل جهة بكل وسائل الجور و القهر ، و قد كان الانتماء إلى الاسلام يعتبر جريمة كبرى تكلف بحياة من ينتمى إليه ، ويفرض القانون الجنائى أشد أنواع العقاب الممكن على كل شخص يبدى عطفه على الدين الاسلامى أو يبدى ميلا إليه ، إن الحكومة الألبانية قامت بالقضاء الأخير على الاسلام فى زعمها فى الستينات و افتخرت بأنها أول دولة علمانية ملحدة فى العالم كله ، و لكن عملية إعادة البناء و إعطاء الحريات فى الاتحاد السوفياتى أملت على هذه الدولة الشيوعية فى أوربا أن تخرج من حصارها الضيق و تطل على

العالم فى جو فسيح و انفتاح كامل ، و فعلا تم السماح هناك بممارسة التدين وأداء الشعائر الدينية ، وبدأ يتنفس المسلمون فى جو من الحرية نحو الاسلام .

إن ألبانيا من دول شبه جزيرة البلقان الأوربية يقع بين يوغوسلافيا و اليونان و بحر الأدرياتيك ، عاصمتها « تيرانا » يتراوح عدد سكانها بين ثلاثة و أربعة ملايين و المسلمون يشكلون نسبة ٨٠٪ فى المأة من مجموع السكان ، وقد كانت جزءاً من الخلافة العثمانية وظلت من بداية القرن السادس عشر الميلادى إلى العقد الثانى من القرن العشرين ، ثم احتلتها إيطاليا و لكنها لم تتمكن من الاستقرار فيها إلى مدة طويلة ، وتم انتخاب أحمد بك زوغو كرئيس جمهورية ألبانيا فى عام ١٩٢٤م ، و خلفه أنور خوجه الذى أسس ألبانيا على فلسفة الشيوعية و عمق جذورها فى حياة أهلها و جردهم عن التدين و جعل الانتماء إلى الاسلام جريمة لا تغتفر ، و قد طالت فترة حكمه السوداء إلى عام ١٩٨٥م قام خلال ذلك باقتلاع جميع الامتيازات الدينية فى حياة المسلمين ، و تحويلهم إلى شعب علمانى مادى بحت ، فكان موضع كراهيتهم الشديدة و مقتهم ، حتى لما اضطر النظام الألبانى إلى الاقرار بتغييرات فى الحكم وتنفيذ النظرة الديموقراطية وتطوير النظام بالانفتاح و الاصلاح ، و إطلاق الحريات ، خرج ١٥٠ ألف متظاهر من المسلمين فى العاصمة و حطموا تمثال أنور خوجه الذى كان يعتبر رمزاً لتحويل ألبانيا إلى مركز شيوعى كبير وسط أوربا الشرقية و كان — مع الأسف — أشد تحمساً للماركسية و تأييداً للثورة البلشفية من مؤسسيها الأولين .

لم يدخر أنور خوجه وسعاً فى إذابة الأغلبية الاسلامية وتكريه الاسلام إليها ، وقد شن عليهم حملات الابادة بطريق مستمر وظن أنه نجح فى القضاء على العاطفة الايمانية وتحويل ألبانيا بكاملها إلى بلد شيوعى خالص ، و أن هذا البلد لن يحيد عن خطه الذى أصبح خطه المألوف - كما زعم - مهما كانت الظروف ، و لكن هيهات أن يتحقق حلمه ، فقد كان إعلان منح الحريات وإعادة البناء وإدخال الاصلاحات بشرى عظيمة ترقبها المسلمون و عاشوها مدة طويلة ، تمتد على أكثر من نصف

قرن ، و إن نهاية حرب الابادة و خروج الشعب المسلم من الحصار الحديدى لمن بشائر الخير والاشراقة التى كانت تلمع فى الأفق من مدة غير يسيرة .

ويماثل قصة المسلم الألبانى قصة الأقليات الاسلامية فى كل بلد كانت ترزح فيه تحت نير الشيوعية التى أخفقت أيما إخفاق و تخاذلت فى الطريق ، ولقد كان إخفاقها بوجه خاص فى مجال المساواة الاجتماعية و الرفاهية الاقتصادية و الملكية الفردية ، ذلك الهتاف الذى يعتمد عليه الشيوعيون فى الدعايات وجلب اهتمامات الناس إلى الاعتناء بفلسفتهم ، إن الحياة التى عاشها زعماؤهم وحكامهم فى البلدان الشيوعية تكذب أسطورة الترف واللذة والنعيم التى تحكيها كتب الروايات والقصص الخيالية وتفوق حياة القصور الباذخة وأباطرة الفرس الذين كانوا يتجاوزون الرقم القياسى فى نهب اللذات و المتع ، و الاستبداد بالنعيم .

إن الأقليات المسلمة فى الدول الشيوعية و ما شاكلها من الجمهوريات لم تعد غيبة فى مجال التوصل إلى الحقائق المرة التى اطلعت عليها من كثب خلال رحلة المحن والنكبة التى فرضت عليها ، وقد أتيح لها أن تخرج الآن من عمليات الكبت والارهاب و الابادة إلى حالتها الطبعية لكى تمارس حقها من أداء ضريبة العبودية و الالتجاء إلى ظل العقيدة و الاعتماد على قواها الموهوبة فى البحث عن الرفاهية والرخاء ، بطريق المكاسب الشرعية فى حرية طبيعية ، وتحطيم أصنام الظلم والاضطهاد و آلهة البؤس و الشقاء المزعومة ، « إذا جاء نصر الله و الفتح و رأيت الناس يدخلون فى دين الله أفواجاً ، فسبح بحمد ربك و استغفره ، إنه كان تواباً » .

حاولت الفلسفات المادية كلها أن تقدم إلى المجتمعات الاسلامية سموماً بطيئة التأثير ، تخدر على أقل تقدير أعصاب المسلمين وتقطع صلتهم عن عقيدتهم ببطء و خفاء ، كانت تتوقع أن إبادتهم و إذابتهم فى بوتقة الالحاد والاباحية يتم عما قليل ، ولكنها باءت بالفشل فى هذه المهمة ، وخرج المسلمون يطالبون الاسلام فى ماتيك الدول مع إعلان منح الحريات ، و السماح بالعودة إلى أداء أعمال العبادة و إقامة الصلاة فى المساجد ، و كأنهم خرجوا من السجن بعد ستين

أو سبعين سنة ، و لم يعد لهم أرب إلا أن يتداركوا ما فاتهم من فرص العمل و العبادة ، والعيش فى ظل الاسلام الهنيئ « يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم و الله متم نوره و كره الكافرون » .

إن المسئولية التى تتجه الآن إلى الدعاة والمفكرين و علماء الاسلام ، وإلى الدول الاسلامية و الجهات المعنية فيها لكبيرة و دقيقة نحو تربية هؤلاء المسلمين الذين عاشوا فى سجون الحركات والفلسفات الهدامة إلى مثل هذا المدى الطويل ، و عاشوا وراء الستار الحديدى مكبلين بأغلال الكبت و الجور ، و حرم عليهم أن يتظاهروا بأى ولاء لأى دين أو عقيدة .

وإن الله سبحانه قد أذهب عنهم اليوم رجس الشيوعية و الجاهلية وأفسح لهم المجال للعودة إلى الاسلام والانتصار لشريعة الله ، فهل لهم علينا حق نوديه ، و نتعاون معهم فى هذا الموقف الحرج الذى يقفونه من دين الله !

و من هذا المنطلق كانت زيارة وفد علماء الاسلام السعوديين لألبانيا ، فقد أتوا إلى هذا البلد الذى عانى من جحيم الشيوعية وشقائها ما عانى ، واجتمعوا هناك بالمسلمين و درسوا قضاياهم ، و اطلعوا على أحوالهم و بحثوا عن وسائل إعادة البناء و تصحيح الأخطاء .

و لعل هذه الزيارة ستكون حافزة للدعاة و المفكرين على تركيز اهتماماتهم على الأقليات المسلمة فى كل مكان و لا سيما التى تسنى لها التخلص من بؤرة الشيوعية و نظامها و لكنها تواجه مع ذلك مشكلات عديدة و من بينها مشكلة تربية الشباب المسلم و العائلات المسلمة ، و تنظيم المدارس و المراكز الاسلامية و ما إلى ذلك من قضايا الحياة و النشاط التى تحتاج إلى بذل اهتمامات كبيرة على جميع المستويات .

« و على الله قصد السبيل و منها جائر و لو شاء لهداكم أجمعين » .

سعيد الاعظمى

التوجيه الإسلامي

من معانى القرآن الكريم :

خلق السماوات و الأرض

بقلم : معالى الدكتور راشد عبد الله الفرحان

وزير الأوقاف سابقاً لدولة الكويت

٧٣— قال الله تعالى فى سورة الأعراف الآية ٥٤ .

« إن ربكم الله الذى خلق السماوات و الأرض فى ستة أيام ثم استوى على العرش يغشى الليل النهار يطلبه حثيثاً والشمس و القمر و النجوم مسخرات بأمره ، ألا له الخلق و الأمر تبارك الله رب العالمين » .

المشكل فى الآية ما تفيده الآية و بعض آيات ، خلق السماوات والأرض فى ستة أيام ، بينما جاءت آيات أخرى فيها زيادة « و ما بينهما » وجاءت آيات بالنقص « فى يومين » مما أشكل على بعض العلماء فهمها إلى جانب آيات العروج فى سورة السجدة وسورة المعارج ، وسوف نبين كل ذلك بالتفصيل إن شاء الله فنقول :

ذكر الله سبحانه خلق السماوات والأرض فى « ستة أيام » فى السور التالية عدا سورة الأعراف هى : سورة يونس الآية « إن ربكم الله الذى خلق السماوات و الأرض فى ستة أيام » (٣) .

و سورة هود « و هو الذى خلق السماوات و الأرض فى ستة أيام » الآية (٧) .

و سورة الحديد « هو الذى خلق السماوات و الأرض فى ستة أيام » الآية (٤) .

هذه الآيات تشير إلى خلق السماوات و الأرض فى ستة أيام أى فى ستة مراحل زمنية ، مقدار كل واحدة منها ألف سنة ، قبل خلق آدم عليه السلام ، كما قال الله سبحانه فى سورة الحج : « و إن يوماً عند ربك كألف سنة مما تعدون » (١) و هى مدة كافية للتغييرات الجوية والجيولوجية لاستقرار الأرض و ثبوتها على ما نشاهدها عليه اليوم .

٧٤— و تضيف آيات أخرى لخلق السماوات و الأرض فى تلك المدة الزمنية التى خلق ما بينهما من أجرام سماوية ، وأجواء وطبقات هواء وماء ، فالسماوات و الأرض فى الأصل كانتا قطعة واحدة فانفصلتا كما قال الله سبحانه فى سورة الأنبياء : « أو لم ير الذين كفروا أن السماوات و الأرض كانتا رتقا ففتقناهما » و هذه الآيات التى جاءت لزيادة فى اللفظ تفيد زيادة فى المعنى :

قال الله فى سورة الفرقان : « الذى خلق السماوات والأرض و ما بينهما فى ستة أيام » الآية (٥٩) .

و قال فى سورة السجدة : « الله الذى خلق السماوات و الأرض و ما بينهما فى ستة أيام » الآية (٤) .

و قال فى سورة ق : « و لقد خلقنا السماوات و الأرض و ما بينهما فى ستة أيام » الآية (٣٨) .

و هذه الآيات بهذه الزيادة لا تعارض بينها و بين الآيات السابقة لأنها من باب البيان ، أما ما جاء فى سورة فصلت فى آية ٩ التى تشير إلى خلق الأرض فى يومين أى فترتين زمنيتين قوله تعالى « قل أئنكم لتكفرون بالذى خلق الأرض فى يومين و تجعلون له أنداداً ذلك رب العالمين » .

(١) الآية / ٤٧ .

٧٥— فقد بين سبحانه فى الآيات التالية من نفس السورة ، بأنه جعل فى الأرض الجبال الثوابت ، و أكثر فيها من الخيرات ، و قدر فيها أقواتها التى أرزاقها ، و ما يصلح لمعاش أهلها من المنافع ، و جعل فى كل بلدة ما لم يجعل فى أخرى ، ليعيش بعضهم من بعض بالتجارة و الأسفار من بلد إلى بلد ، « فى أربعة أيام » أى تتمة أربعة أيام باليومين المتقدمين فقال :

« و جعل فيها رواسى من فوقها و بارك فيها و قدر فيها أقواتها فى أربعة أيام سواء للسائلين » « ثم استوى إلى السماء و هى دخان فقال لها و للأرض ائتيا طوعاً أو كرهاً قالتا أتينا طائعين » « فقضاهن سبع سماوات فى يومين وأوحى فى كل سماء أمرها وزينا السماء الدنيا بمصابيح وحفظاً ذلك تقدير العزيز العليم ».

أى خلق الله الأرض فى يومين ، و خلق الجبال و أقوات الأرض فى يومين ، فيصبح المجموع أربعة أيام « سواء للسائلين » أى خلقاً مستوياً كاملا ، ومما تشير إليه الآيات أن السماوات والأرض كانتا بما فيهما من المجموعة الشمسية و ما علا ذلك و أحاط به من نجوم و كواكب و أغلفة فى الأصل شئ واحد و هو دخان أى غاز ، و بقدرة الحكيم الخبير انفصلت الأرض وهو بدء خلقها الذى عبر عنه القرآن فى الآية السابقة « فى يومين » على ما بيناه سابقاً ، و هذا معنى قوله تعالى « ثم استوى إلى السماء و هى دخان فقال لها و للأرض ائتيا ، وكون هذه الأجرام العظيمة وما بينهما تنقاد إلى الله سبحانه ، و تكونا مسخرتين لعباده بما خلق فيها من المنافع لهم ، و أن تأتيا على ما ينبغى أن تأتيا عليه من نظام الجاذبية و التماسك ، و الغلاف الجوى المحيط فى الأرض ، فلم تمتنعا عليه و أجابتا أنهما طوع إرادة الله و لما كان الخطاب و الاجابة من لوازم العقلاء ، أنزلهما الله منزلتهم ، فعبر عن السماء و الأرض بقوله « قالتا أتينا طائعين » «

ومعنى استوى إلى السماء قصد وعمد وأراد ، وهذا غير قوله تعالى : استوى على العرش ، لأن السماء محسوسة معلومة لنا ، و الاستواء على العرش مجهول .

و بذلك يزول كل إشكال فى فهم الآيات بعد جمعها .

٧٦— وأما حديث أبى هريرة الذى رواه مسلم ، والذى جاء فيه خلق الأرض و الجبال و الشجر و المكروه و النور و الدواب فى أكثر من أربعة أيام تبدأ من يوم السبت و تنتهى بيوم الخميس ، فقد رده العلماء من جهة متنه ، و قال عنه ابن الجوزى فى تفسير زاد المسير تفرد به مسلم ، وهذا الحديث مخالف للقرآن .

و قال الحافظ ابن كثير عن هذا الحديث فى التفسير : و هذا الحديث من غرائب « صحيح مسلم » ، وقد تكلم عليه على بن المدينى والبخارى ، و غير واحد من الحفاظ ، و جعلوه من كلام كعب الأحبار ، و أن أبا هريرة سمعه من كعب الأحبار ، وإنما اشتبه على بعض الرواة فجعلوه مرفوعاً ، وقد فسر ذلك البيهقى (١) .

أقول : و مما يؤكد ذلك أن ألفاظ الحديث بتسمية الأيام تتفق مع ما جاء محرفاً فى كتب أهل الكتاب ، فاليهود يقولون إن الله عمل ستة أيام واستراح فى اليوم السابع و هو يوم السبت ، و النصارى يقولون إن الله استراح فى يوم الأحد ، تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً .

السماوات السبع

٧٧— قال الله تعالى فى سورة الطلاق : الآية ١٢ .

« الله الذى خلق سبع سماوات و من الأرض مثلهن يتنزل الأمر بينهن لتعلموا أن الله على كل شئ قدير » .

بينا فى موضع سابق أن السماء و الأرض كانتا كتلة واحدة ، فانفصلت

(١) تفسير زاد المسير الجزء السابع ص ٢٤٣ .

الأرض كما انفصل غيرها من الأجرام والكواكب السماوية التى تعيش فى دنيانا، و أن السماء أصبحت سبع سماوات بعد ذلك ، فبعد خلق الأرض ، قال تعالى فى سورة البقرة : الآية ٢٩ ، ثم استوى إلى السماء فسواهن سبع سماوات و هو بكل شئ عليم ، أى أرادها ، و جعلها « فقضاهن سبع سماوات » (١) و المعلوم لدينا و المحسوس هى السماء الدنيا و هى القربى لنا حيث زينها الله بمصابيح هى النجوم من الكواكب السيارة التى جعل الله بعضها رجوماً للشياطين المتمردين الذين يحاولون الصعود إلى الأجواء العليا لاستراق السمع حيث كلام الملائكة ، و هذه السماوات السبع طباقاً ، يعنى بعضها فوق بعض ، وقد أوحى الله سبحانه فى كل سماء أمرها و شئونها و تدبيرها و كل ما يتعلق فيها من الأمور الغيبية التى لا يعلمها إلا هو وجعل لكل سماء شمسها و قمرها و أرضها ، فالسماوات التى بين الله سبحانه فى قوله « الله الذى خلق سبع سماوات » الملك يقطع المسافة فيها حين يعرج من الأرض يحتاج إلى يوم، لوساره غيره كان ألف سنة مما يعده البشر ، و هذا يدل على بعد المسافة ، فلا شمسنا و لا قمرنا تصل إليه ، فدل على أن لكل سماء شمسها و قمرها و أرضها ، و يؤكد ذلك قوله تعالى « و من الأرض مثلهن » أى أن الأرض ليست واحدة و إنما هى سبع أرضين ، فهناك غير أرضنا ، كما ثبت فى الصحيحين ، « من ظلم قيد شبر من الأرض طوقه من سبع أرضين » و فى صحيح البخارى « خسف به إلى سبع أرضين » و قد صح من رواة البخارى و غيره قوله ﷺ : « اللهم رب السماوات السبع وما أظللن، و رب الأرضين السبع » .

٧٨— و قد أكد العلم الحديث أن هناك مجرات أخرى فيها شموس

(١) سورة فصلت : الآية ١٢ .

و أقمار و أراض غير أرضنا ، و هناك سماوات غير سمائنا التى نراها ، و قد يمكن الله الانسان حسب مشيئته و إرادته و قدرته فيكتشف بعضاً منها ، لأن الله سبحانه يقول فى سورة نوح : الآية ١٥ — ١٧ « ألم يروا كيف خلق الله سبع سماوات طباقاً » « و جعل القمر فيهن نوراً و جعل الشمس سراجاً » « و الله أنبتكم من الأرض نباتا » أى خلق أباكم آدم من الأرض ، و كلمة « ألم يروا » فيها حث على التدبر و التفكر و النظر بالفكر ثم التجربة ، و يؤكد ذلك قوله فى سورة الرحمن : الآية ٣٣ « يا معشر الجن و الانس إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السماوات و الأرض فانفذوا » أى إن استطعتم ذلك فافعلوا ، و لكنكم لا تستطيعون ذلك إلا بالعلم « لا تنفذون إلا بسلطان » أى إلا بأمر الله « يتنزل الأمر بينهن » فى الأمر قولان :

أحدهما : قضاؤه و قدره ، قاله الأكثرون ، قال قتادة : فى كل أرض من أرضه ، و سماء من سمائه خلق من خلقه ، و أمر من أمره ، و قضاء من قضائه .

و الثانى : أنه الوحى ، قال ابن جرير الطبرى : و قوله تعالى « يتنزل الأمر بينهن » أى ينزل أمر الله بين السماء السابعة والأرض السابعة ، « لتعلموا أن الله على كل شئ قدير » أى ينزل قضاء الله و قدره بين ذلك كى تعلموا أيها الناس كنه قدرته و سلطانه ، و أنه لا يتعذر عليه شئ أراده ، و لا يمتنع عليه أمر شاءه ، و لكنه على ما يشاء قدير .

المد و الجزر فى تاريخ الاسلام

(الحلقة الثانية)

بقلم : سماحة العلامة الشيخ أبى الحسن على الحسنى الندوى

نظرة تحليلية فى هذا اللغز :

الآن ننظر فى هذا الحادث الغريب نظراً علمياً تحليليا ، ونبحث عن أسبابه الحقيقية ، الجنود و الدول فى هذا العام المادى تغلب الجنود والدول فى الغالب لوفرة عددها أو بزيادة عدتها و عتادها ، و لأنها أحسن فى الشكة و السلاح ، و فى التنظيمات العسكرية ، و فائقة فى النظام الحربى ، فنتناول جميع هذه العلل المادية التى يرجع إليها الفضل فى انتصار الجيوش ، و الدول عامة ، و نبحث فيها علة علة :

مسألة العـــدد :

أما العدد فمعلوم أنه كانت النسبة بعيدة بين المقاتلين فى العدد فى جميع المواقف الحاسمة و المعارك الفاصلة فى كفاح الاسلام و النصرانيـة و المجوسية ، و كان الروم و الفرس أضعاف عدد المسلمين فى أكثر الوقائع ، هذه اليرموك كان الروم الذين نفروا لقتال المسلمين يبلغ عددهم مائة ألف و ثمانين ألفاً ، وفى رواية مأتى ألف ، وفى رواية أربعين ومأتى ألف ، و أقل ما روى عن عددهم عشرون و مأة ألف ، و أكثر ما ذكر عن المسلمين أنهم كانوا أربعة و عشرين ألفاً ، كذلك كانت النسبة بعيدة فى وقعـــة القادسية ، و هى أختها فى العراق و النتيجة معلومة ، و « ما يوم حليمة بسر » (١) .

(١) يوم حليمة : هو يوم من أشهر أيام العرب فى الجاهلية ، و هذا المثل يضرب فى كل أمر متعالم مشهور .

و قد اعترف بقلة المسلمين و وفرة جنود الروم والفرس المؤرخون جميعاً ، و لم يعللوا الفتح الاسلامى الغريب فى التاريخ بكثرة عدد مقاتلة المسلمين ، جاء فى الفصل الرابع للأستاذين « غودفروا دمونبين » و « بلانونوف » :

« إن العرب الذين أفاضوا من الجزيرة لفتح الأمصار لم يكونوا عصائب لا تحصى و لا تعد ، تدفقت على الشرق المتمدن ، فقد أحصى مؤرخو العرب الجيش الأول للمسلمين فى اليرموك بثلاثة آلاف ، ثم أرسل إليهم الخليفة بنجدة أبلغتهم ٧٥٠٠ مقاتل ، و أخيراً تتام عددهم ٢٤ ألفاً ، و أما عدد الروم فقال العرب : إنه كان مأة ألف ، و قيل ٣٠ ألفاً ، و قيل ٣٠٠ ألف مقاتل ، و لم يزده مؤرخو بيزنطية على ٤٠ ألفاً ، و على كل حال كان العدد الأكبر لأعداء العرب ، و هكذا فى حروب فارس » (١) .

و معلوم أن جزيرة العرب قليلة العمران بالنسبة إلى مساحتها و اتساع رقعتها ، و معظمها صحراء ، و رمال وعثاء ، و أرض قاحلة جرداء ، أما البلاد التى زحف عليهـا المسلمون و رموا فيها بأنفسهم ، فهى من أخصب بلاد الله ، مستبحرة العمران ، مكتظة بالسكان ، وكانت خليتها تعسل حيناً بعد حين ، وتقطع بعوثاً إثر بعوث ، و تتدفق سيول من الجيوش و المقاتلة ، و تأتيهم الميرة من كل مكان لا تكاد تنتهى ، و كان العرب الغرباء كنقطة مغمورة فى بحار من الأعداء ، نازحين عن بلادهم ، منقطعين عن مركزهم ، و لا يصلهم المدد إلا بشق الأنفس وبعد شهور ، ولا يجدون من الميرة إلا ما يتغلبون عليه وينتزعون من أيدى أعدائهم انتزاعاً ، فلو تطوعت جزيرة العرب كلها لقتال الروم والفرس ، و نفر جميع أهاليها للجهاد فى سبيل الله — على أن ذلك من المستحيل — لما

(١) حاضر العالم الاسلامى حواشى الأمير شكيب أرسلان (ج ١ ص ٣٩) .

وقعوا من العالم النصرانى والمجوسى — وهما أكثر من نصف الأرض المعمورة — بمكان ، فكيف و الذين تطوعوا للجهاد ما كانوا نصف عشر عمران الجزيرة ؟!.

مسألة العتاد و السلاح :

أما العدد و العتاد ، فكان العرب أفقر فيها ، و أقل منهم فى العدد ، فلم تكن هناك جنود مرتزقة ، و لا جيوش منظمة تعبئها الحكومة و تسلحها من عندها ، ثم تبعثها كاملة السلاح تامة الجهاز ، إنما كان متطوعون ، يجهزون أنفسهم و ينفرون شوقاً إلى الجهاد فى سبيل الله و رجاء ثوابه ، و منهم من لا يجد راحلة ويلتمس عند غيره فلا يجد ، فيقعد متلهفاً على ما يفوته من سعادة الجهاد فى سبيل الله ، و قد أنزل الله فيهم : « و لا على الذين إذا ما أتوك لتحملهم قلت : لا أجد ما أحملكم عليه ، تولوا و أعينهم تفيض من الدمع حزناً ألا يجدوا ما ينفقون » (١) .

و كان المسلمون تزدريهم أعين الروم و الفرس لما خرجوا لقتالهم ، وكانوا يسخرون من سلاحهم و نبالهم و ثيابهم و يضحكون ، قال أبو وائل — أحد الذين شهدوا القادسية — : كان الفرس يقولون للمسلمين : « لا يد لكم و لا قوة و لا سلاح ، ما جاء بكم ؟ ! ارجعوا ، قال : قلنا : ما نحن براجعين ، فكانوا يضحكون من نبلنا ، ويقولون : « دوك دوك » ويشبهونها بالمغازل (٢) .

قال ابن كثير : « وكان سعد قد بعث طائفة من أصحابه إلى كسرى يدعونه إلى الله قبل الوقعة ، فاستأذنوا على كسرى فأذن لهم ، وخرج أهل البلد ينظرون إلى أشكالهم ، و أرديتهم على عواتقهم ، و سياطهم بأيديهم ، و النعال فى أرجلهم

(١) سورة التوبة : الآية ٩٢ .
(٢) البداية و النهاية (ج ٧ ص ٤٠) .

و خيولهم الضعيفة ، و خبطها الأرض بأرجلها ، و جعلوا يتعجبون منها غاية العجب ، كيف مثل هؤلاء يقهرون جيوشهم مع كثرة عددها و عددها » (١) .

و يقول « ماكس مايرهوف » فى تأليفه « العالم الاسلامى » :

« يكاد يكون مستحيلا أن نفهم كيف أن أعراباً منتمين إلى عشائر ، ليست عندهم العدد و الاعتدة اللازمة ، يهزمون فى مثل هذا الوقت القصير جيوش الرومان و الفرس ، الذين كانوا يفوقونهم مراراً فى الأعداد و العتاد ، و كانوا يقاتلونهم و هم كتائب منظمة (٢) » .

مسألة تفوق العرب فى النظام الحربى :

ومما قيل فى تعليل غلبة المسلمين ، أن العرب كانوا فائقين فى نظامهم الحربى على الروم و الفرس فى ذلك العصر ، و كانت كتائبهم أحسن تنظيماً و تدريباً ، و أفضل نظاماً عسكرياً ، و أكثر انقياداً لأمرائها و قوادها من العساكر الرومية و الفارسية ، و أن الفضل فى انتصار العرب مع قلتهم و انكسار الروم و الفرس رغم كثرتهم ، يرجع إلى مراس العرب للقتال وضراوتهم بالحروب . و ولوعهم بالغزو و النهب ، و نشأتهم الجاهلية الأولى النشأة الحربية المحضة .

هذا الكلام يشبه أن يكون وجيهاً وأكثر صواباً من التعليلات السابقة .

و لكنك إذا انتقدته كباحث و مؤرخ وجدته مغالطة كبيرة ، يغالط بها الكتاب الأوربيون و يتعللون بها ، و قد يفهمون و قد لا يفهمون .

و قد ثبت فى تواريخ القرون الوسطى أن الروم — و كذا الفرس — كانوا راقين فى نظامهم الحربى فى ذلك العصر ، و قد بلغت الدولة البزنطية فى

(١) البداية و النهاية (ج ٧ ص ٤١) .
(٢) حاضر العالم الاسلامى حواشى الأمير شكيب أرسلان (ج ١ ص ٣٩) .

بداية القرن السابع المسيحى زهوها ، و أوج فتوحاتها الحربية ، ففى ذلك العهد دحر الروم الفرس ، و ردوهم على أعقابهم ، و جاسوا خلال الديار ، و عبر هرقل جبال الكرد و نهر دجلة غازياً منتصراً ، و بعد حرب دامية فى ساباط و معركة فاصلة فى نينوى ، دخل دستجرد وتقدم إلى المدائن ، و غرز علم الفتح الروى فى قلب فارس ، و ذلك كله فى سنة ٦٢٥م ، يعنى قبل زحف المسلمين على الشام بإثنى عشرة سنة فقط .

و قد أفادت هذه الحروب الطاحنة التى بدأت من سنة ٦٠٣ الفريقين — الروم و فارس — من جهة الحرب والتدريب كثيراً ، و قد استفاد الفريقان أساليب جديدة للقتال و حنكة و حسن بلاء فى الحرب ، و تعلم كل فريق من الآخر كما كان الشأن فى الحروب الصليبية فى القرون الوسطى .

و قد اعترف « جبون » مؤرخ رومة الكبير بفضل الروم على العرب فى الحروب و نظامها ، فقد قال فى كتابه (المجلد الخامس ص ٤٧٨) :

أنا ألا حظ هنا و سأكرره مراراً ، أن هجوم العرب وقتالهم لم يكن مثل الرومان واليونان ، الذين كانت لهم رجالة قوية مستحكمة ، كانت القوة العسكرية للعرب مركبة من فرسان و رماة ، و كانت الحرب التى قد تقاطعها مبارزات شخصية و مناوشات من القتال ، قد تستمر و تطول بغير حادثة فاصلة إلى عدة أيام .

أما ما قيل من مراس العرب للقتال وتدربهم عليها ، بفضل حروبهم القبلية التى كادت تكون مستمرة ، و تمكنهم من الانتصار على الروم والفرس ، فلم تكن هذه المناوشات والغزوات الطائفية بحيث يتمكن بها العرب من قهر الامبراطوريتين الكبيرتين الرومية و الفارسية ، و قد خضع العرب مع هذا كله للحبشة ولفارس

فى جنوب العرب ، و انسحبوا أمام جيوش أبرهة فى زحفه على مكة ، و أن الله هو الذى تولى بيته وكفى قريشاً القتال وجعل أصحاب الفيل كعصف مأكول ، و لماذا لم يجسر العرب على الخروج من جزيرتهم و غزو البلاد و فتحها فى هذه القرون الطويلة التى قضوها فى شبه جزيرتهم فى خمود و خمول تام ؟ لماذا لم يهاجموا الروم و الفرس كما فعلوا بعد بعثة محمد ﷺ بغير تراخ ؟ و لماذا لبثوا الأحقاب و الأجيال الطوال ، معكومين على رأس حجر بين الأسدين فارس و الروم ، كما يقول قتادة أحد التابعين الكبار (١) .

أما ما قيل عن النظام فلا ننكر حسن نظام العرب فى حروبهم وغزواتهم ، و روح التعاون و التفادى ، السارى فى جنودهم ، و الطاعة و الانقياد لأمراء الجيوش و قوادها ، والتفانى و الاستماتة فى سبيل الله ، و لكن يعلم الخبير أن النظام ليس شيئاً صناعياً ميكانيكيا ، يحصل بمجرد تنظيمات عسكرية ، و فنون حربية و قواعد رياضية ، و لو صففت الحجارة تصفيفاً بديعاً ، أو أقيمت العمد و السوارى على نظام فنى رياضى كامل لم تنفع شيئاً ، و قد قرأت فى التاريخ أى الروم و الفرس قد كانوا فى بعض المواقف الجليلة يسلسلون أنفسهم (٢) و يحفرون لهم فى الأرض لئلا يندحروا أو ينسحبوا من ميدان القتال ، ثم لا يغنى عنهم هذا شيئاً ، فليس الشأن كله فى النظام فى الحرب ، إنما الشأن الكبير و التأثير البليغ للروح و المبدأ و الغاية التى يقاتل لأجلها الجنود ، و تمكنها من النفوس ، و هى منبع القوة الخارقة للعادة ، ومبعث الشجاعة التى تبهر العقول ، و سبب الفتوح العظيمة التى يندهش لها المؤرخون و الفلاسفة .

(١) تفسير ابن جرير (ج ٤ ص ٣٣) و معكومين : مشدودين .

(٢) يربطون الجماعة من جندهم بالسلاسل لئلا ينهزموا .

منبع القوة الحقيقى عند العرب المسلمين :

وعن هذا المنبع نبحث فى نفوس العرب الأولين الذين خرجوا لفتح العالم، و فتحوا نصف الأرض فى نصف قرن .

منبع هذه القوة و سبب هذا الانقلاب العظيم الذى لا يوجد له مثيل فى التاريخ ، أن العرب أصبحوا بفضل تعاليم محمد ﷺ أصحاب دين و رسالة ، فبعثوا بعثاً جديداً ، و خلقوا من جديد ، وانقلبوا فى داخل أنفسهم فانقلبت لهم الدنيا غير ما كانت ، و انقلبوا غير ما كانوا ، نظروا إلى العالم حولهم - و طالما رأوه فى جاهليتهم بدهشة و استغراب - فاذا الفساد ضارب أطنابه ، و إذا الظلم ماد رواقه ، و إذا الظلام مخيم على العالم كله ، و كل شئ فى غير محله ، فمقتوه و أبغضوه ، ونظروا إلى الأمم وطوائف البشر حول جزيرتهم — و طالما رأوها بتعظيم و إجلال ، و غبطة و إكبار — فاذا أنعام و دواب فى صورة البشر : « يأكلون كما تأكل الأنعام والنار مثوى لهم » (١) وإذا صور و دمى قد كسيت ملابس الانسان ، فاستهانوا بهم ، و بما هم فيه من ترف و نعيم و زخارف و زينة ، و قرأوا قول الله تعالى : « زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه » (٢) — « فلا تعجبك أموالهم و لا أولادهم ، إنما يريد الله ليعذبهم بها فى الحياة الدنيا، و تزهق أنفسهم و هم كافرون » (٣) .

و علموا أن الله قد ابتعثهم ليخرجوا الناس من الظلمات إلى النور ، و من عبادة العباد إلى عبادة الله ، و من ضيق الدنيا إلى سعتها ، و من جور الأديان

(١) سورة محمد ﷺ : الآية ١٢ .
(٢) سورة طه : الآية ١٣١ .
(٣) سورة التوبة : الآية ٥٥ .

إلى عدل الاسلام ، و اورثهم أرضهم و ديارهم و أموالهم ، وأرضاً لم يطأوها، و استخلفهم فى الأرض و مكنهم فيها ، وقرأوا قول الله تعالى : « و لقد كتبنا فى الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادى الصالحون » (١) و قوله : « وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم ، و ليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم ، و ليبدلنهم من بعد خوفهم أمناً ، يعبدوننى لا يشركون بى شيئاً » (٢) و تعلقوا بقول نبيهم ﷺ : « إن الله زوى (٣) لى الأرض فرأيت مشارقها و مغاربها ، و إن أمتى سيبلغ ملكها ما زوى لى منها ، و أعطيت الكنزين الأحمر و الأبيض » (٤) .

وقوله : « إذا هلك كسرى فلا كسرى بعده ، وإذا هلك قيصر فلا قيصر بعده ، و الذى نفسى بيده لتنفقن كنوزهما فى سبيل الله » (٥) .

و عرفوا أن الله قد ضمن لهم النصر ، و وعدهم بالفتح ، فوثقوا بنصر الله و وعد رسوله ، و استهانوا بالقلة و الكثرة ، و استخفوا بالمخاوف و الأخطار، و ذكروا قول الله تعالى : « إن ينصركم الله فلا غالب لكم ، و إن يخذلكم فمن ذا الذى ينصركم من بعده ، و على الله فليتوكل المؤمنون » (٦) و قوله : « كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله و الله مع الصابرين » (٧) .

« يتبع »

(١) سورة الأنبياء : الآية ١٠٥ .
(٢) سورة النور : الآية ٥٥ .
(٣) زوى لى الأرض : جمعها و قبضها .
(٤) رواه الترمذى .
(٥) رواه الترمذى .
(٦) سورة آل عمران : الآية ١٦٠ .
(٧) سورة البقرة : الآية ٢٤٩ .

« هل للعقل موطن غير القلب »

بقلم : د . محمد بن سعد الشويعر
رئيس تحرير مجلة « البحوث الاسلامية » ، الرياض

شبهة بدأت تبث فى المجتمع الاسلامى ، لها دعاة ماديون يروجونها فى الفكر و الثقافة ، و يريدون وراء ذلك العلمانيون و المشككون ، و أعداء دين الاسلام ، النفاذ بها ، و بما تهدف إليه ، لقلوب المسلمين ، و التغلغل لبواطن ضعاف الايمان ، و قاصرى العلم ، ليكونوا لسان حال لهم فى المجتمع الاسلامى و ذلك بالمجادلة المادية فيما يتعلق بالقلب ، بالتدليل على أنه ليس موطناً للتفعل و الادراك . . و لعل وراء هؤلاء و أولئك من يرمى لما هو أبعد من ذلك بوضع شبهة تتعارض مع النص التشريعى الكريم بقصد تعمد الاساءة إليه ، و إلى شريعة الاسلام ، و تعارضهما مع النظريات العلمية . . . . حتى توصف بالنقص و القصور .

وهم ينفذون للشبهة هذه بعد ما اتسع نطاق زراعة القلوب ، و نجح بعضها إلى حد ما ، و قد جاءت تلك القلوب المزروعة من فئات متباينة فكرياً وعقلياً و مختلفة علمياً و ثقافياً ، إلا أن الملاحظ ، كما يقول الطارحون لهذه الشبهة ، أن القلب الجديد لا يكون له تأثير فى الجسم المزروع فيه ، و لا فى عواطف صاحبه و ارتباطها بأحد دون أحد ، كما كانت حالة الجسم مع القلب السابق ، بل قد تكون المؤثرات المختلفة فى القلب الجديد ، هى ذاتها المؤثرة فى القلب القديم ، و كأن القلب لم يستبدل بقلب آخر .

و وجهات النظر هذه قد ساقتهم لمقولة : إن القلب عبارة عن مضخة

توزع الدم على الجسم : سحباً و دفعاً ، كما توزعه مضخات التدفئة المركزية بالماء فى المنازل و العمائر الكبيرة . .

إلى غير هذا مما يطرح أمام الشباب المسلم ، و خاصة الذى يدرس فى بلاد الغرب ، أو على أيدى أساتذة من هناك ، بهدف بلبلة أفكارهم ، وتشكيكهم فى تعاليم دينهم ، و مصدرى التشريع فيه .

و لا شك أن مثل هذه المقالة قد جاءت من عقل بشرى قاصر ، وتفكير خاضع للأمور المحسوسة ، مع عدم ربط ذلك بالعلم اليقينى ، وهو ما جاء عن الله جل و علا ، أو ثبت عن رسوله الكريم ﷺ ، و هما المصدران اللذان لا يتطرق إليهما الشك ، أو تقترب من نتائجها الوساوس ، فى معهود الأفكار السليمة ، و الفطر المستنيرة .

و مثل هذا القصور الذى تدفعه أيد خفية ، نتج عنه تشكيك فى أمور كثيرة ، بحيث أطلقوا على ما توصلوا إليه من تخمينات و نظريات . . و هم يعترفون بأن النظرية تخضع للخطأ و التبديل . . عند ما تأتى نظرية أخرى أرفع منها تنسف الأسس التى بنيت عليها الأولى . و ما أكثر الأخطاء فى مقاييس البشر المادية ، و صدق الله إذ يقول : « و ما أوتيتم من العلم إلا قليلا » و يقول سبحانه : « و لو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيراً » .

و فيما نحن بصدده نرى أصحاب هذه العقول ، التى لا تسترشد بنصر كريم و لا تخضع لمقاييس الشريعة الحقة قد احتاروا فى موطن التعقل فى الانسان . هل هو فى الدماغ ، أم فى مؤخرة الرأس ، أو مقدمته ، أو فى تجويفات و فراغات الجمجمة ، أو فى العصب الحساس الذى يربط بين المخ وأجزاء الجسم لدقته فى التنبيه ، و سرعته فى إيصال المعلومات .

ولكى يمكنوا الدليل لنظرياتهم ، طرحت استدلالات لكل موطن اقترحوه

للتعقل . ووصفوا له براهين من منظورهم المادى . . إلا ان المناقش لهم يلمس الحيرة و عدم الثبات . لأن الأسس غير راسخة ، و البراهين لم تكن منطلقة من مصدر ثابت عقلى أو نقلى . . و ما يجب أن يدركه المسلم الذى يستمد معارفه من مصدرى التشريع فى عقيدته : كتاب الله و سنة رسوله ﷺ ، اللذين أوضحا معلومات دقيقة و ثابتة عن الجسم البشرى ، و ما أودع الله فيه من أسرار و عجائب ، قد ثبت فيهما أن القلب هو موطن التعقل ، و أنه مركز الفقه و الادراك ، كما قال جل و علا : « أفلم يسيروا فى الأرض فتكون لهم يعقلون بها » و كما يقول المصطفى ﷺ : « ألا و إن فى الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله ، و إذا فسدت فسد الجسد كله ، ألا و هى القلب ». لأن ما نأخذه عن شرع الله من علم ، فانما هو علم يقينى ، لا يحتمل التسويف سواء عرفنا سره ، أم خفى علينا كنهه ، لأن علم البشر من أولهم إلى آخرهم لا يقاس بعلم الله ، إلا بمقدار ما تأخذه الأبرة من ماء المحيط الغزير إذا غمست فيه .

و لأهمية هذا القلب لكل إنسان فقد جاء ذكره فى كتاب الله جل و علا « ماته و اثنتين و ثلاثين مرة » ١٣٢هـ ، و نبه لذلك رسول الله ﷺ عشرات المرات . . وكل ذلك لاثبات أن القلب هو موطن التعقل . . فهذا هو الدليل النقلى الذى يجب أن تخضع له الفطر السليمة ، أما الأدلة العقلية فهى كثيرة ، وكلها تلتقى مع الدليل النقلى فى إثبات مكانة العقل فى الادراك و دوره فى قيادة الجسم ، حيث كانت العرب تسميه : ملك الجوارح ، لمكانته فى التوجيه والعمل ، وتعريف الايمان الذى هو المرتبة الثانية فى عقيدة الاسلام هو التصديق بالقلب .

و من هنا نجد من المناسب مناقشة دعاة تلك الشبهة ، حسب معهودهم العلمى بأمور منها :

— أن الجسم كيان مترابط لا يؤثر فيه فقدان جزء منه ، أو استبداله ، كما أن عمل الدولة لا يؤثر فيه استبدال موظف بموظف ، فالجوهر الذى سلك

فى الجسم ، بمثابة النظام الذى رسمته الدولة أو صاحب العمل ، فكل من جاء ليؤدى العمل ، مهما كان لا بد أن يسير على ما ترغبه القيادة الموجهة لهذا العمل .

— أن سر حيوية الجسم و قدرته على العمل و الاستيعاب يستمد من الغذاء الذى ذابت خلاصته فى الدم . والقلب هو الذى يوجه هذا الدم لأطراف الجسم فتأخذ ما ينفعها ، و يتقوى كل جزء من الجسم بما يفيده ، ثم يسحب القلب فى عمليتى القبض والانفتاح : الضار من هواء متأكسد ، و غذاء استهلك ، وطفيليات فضى عليها ، ليعوضه بالنافع المفيد ، لتبقى الحيوية و تستمر القدرات .

— أن كل عضو فى الجسم له وظائف عديدة منها المعروف الظاهر ، ومنها غير المعروف الخفى ، فالعلمانيون لا يعرفون عن القلب إلا ما ظهر أمامهم مادياً ، أو استقرؤه علمياً وتجربة ، أما المسلمون فيؤمنون بالنصوص الشرعية ، ويدركون أن هناك أسراراً لم تدركها حواسهم ، لكنهم اعتقدوها بايمانهم و استجابتهم فمثلا لو وصفنا أمام العلمانيين قلبين : قلب مؤمن تقى مطيع لله ، و قلب ملحد عنيد محاد لله . و معاند لشرائعه ، لما ظهر أمامهم فرق ، لأن الايمان الذى موطنه القلب لا يعرف فى مقاييسهم ، و ليس له لون أو شكل يميزه فى نظرتهم .

— كما أنهم لم يعرفوا سر الروح و لا كنه النوم . . و أين موطنهما من الجسم البشرى و هل يمكن السيطرة عليهما أم لا ؟ ، و قد بذلوا جهوداً مضنية فى تجارب طويلة وعديدة علهم يعرفون شيئاً عن الروح ، و سر الموت ، وهل لذلك مقاييس يمكن السيطرة عليها بالتجربة ، وكذا النوم دخوله الجسم وخروجه منه ، فباءت تجاربهم بالفشل الذريع .

— و المسلمون يخاطبون أولئك بالدعوة إلى الاسترشاد بآيات من كلام الله حتى ترعوى قلوبهم ، و ينقادوا لخالقهم ، و ألا ينساقوا خلف ما يبعدهم عن كل ما يسعدهم فى أخراهم كما قال تعالى : « يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون » .

— وإن الفرق بين استجابة النفوس ، وارتباط القلوب بالأوامر الشرعية طاعة لله و لرسله ، و إيماناً بكل ما جاء فى مصدرى التشريع لعقيدة الاسلام ، و بين الخضوع لمقاييس مادية هو الفرق بين الكفر والايمان ، مع أن التركيب الجسمانى للاثنين واحد فى كل عضو ظاهر من أعضاء الجسد ، إلا أن المؤمن تطهر باستجابة قلبه ، وطاعته لخالقه ، والكافر المعاند تنجس بابتعاد قلبه ، وعصيانه للأوامر ، و تظهر آثار ذلك على الانسان عملا و امتثالا .

— ومن هذه الدلالة المرهفة فى الاحساس الدينى جاءت فى شريعة الاسلام الطهارة الحسية للبدن لتزيل النجاسة الكفرية عند ما يريد الانسان الدخول فى الاسلام فيؤمر بالاغتسال ، و غسل ملابسه التى كان يرتديها قبل أن يسلم ، ليدخل الاسلام ببدن طاهر ، وملبس طاهر ، و بعكس هذا الردة عن الاسلام حيث ينتقض الوضوء ، و ما ذلك إلا أن طهارة الاسلام لأجسام و قلوب بنى آدم طهارة حسية و طهارة معنوية ، و لا يفرق بينهما إلا من عرف تعليم الاسلام ، و نظرته الشاملة . . لتكون بذلك جميع الأعمال التى يقوم بها المسلم طاهرة من ذبح و نكاح ، و طعام و كلام ، إلى غير ذلك .

و هذه النظرة فلسفة عقدية تقف عندها النفوس مستبصرة ، و الأفئدة مترشدة لتدرك سراً من أسرار النفس البشرية ، و مرتبة خصها الله بالمؤمنين العارفين ، ورسخها القرآن الكريم فى مخاطبته للعقل و القلب ، و تخصيصه للقلب بأنه موطن الاسترشاد و التعقل . . و يبقى ذلك السر مقروناً بالنص القرآنى الذى يجب اعتماده ، سواء وضحت لنا معالمه ، أم خفى علينا إدراكه . . لأن القانونيين يقولون : لا اجتهاد مع نص . . . لكنه يظهر أمام من آتاه الله حاسة إيمانية ، بنور يستضئ به فى دروب العقيدة ، ليخرج بذلك من متاهات الضلال و التخبط .

أسلوب المحاورة :

لكل شبهة تطرح جواب مقنع و الحكيم الحليم هو الذى يعرف المدخل ، لكى تزول الشبهة ، و يقتنع المتلقى ، ذلك أن المثير للشبهات قد يكون قصدها عمداً لمرض فى نفسه ، أو ألقاها صدى لغيره ، أو أخذها عما هو موروث فى مجتمعه ، كما أخبر الله عن الجاهليين بقوله جل وعلا : « إنا وجدنا آباءنا على أمة » . . . و لذا فان منهج دين الله الحنيف الذى ارتضاه سبحانه لخير خلقه : الدعوة بالرفق و اللين ، و توجيه القرآن الكريم للرسول الكريم ﷺ بالحلم ، وعدم التعرض للآخرين بالشتم ، و لآلهتهم بالسب حتى لا تأخذهم الحمية والحماسة إلى سب الله عدواً بغير علم . .

و أخذ هذا الصحابة درساً طبقوه فى دعوتهم للدين و منهجاً فى حوارهم مع أصحاب الملل الأخرى ، كما جاء فى وصيته ﷺ لمعاذ بن جبل رضى الله عنه عند ما أرسله إلى اليمن ، و فى وصيته ﷺ لعلى بن أبى طالب رضى الله عنه عند ما أعطاه الراية فى خيبر ، ولذا روى عن على رضى الله عنه ، وهو الذى صار موجهاً لمن بعده بعد ما تخرج من مدرسة النبوة إدراكاً وعملا ، أنه قال : خاطبوا الناس بما يعرفون أ تريدون أن يكذب الله و رسوله . . و من هنا فان لكل شبهة تطرح جواباً لكن المخاطب يجب أن يختار من الأدلة المطروحة : نقلياً و عقلياً ما ينفذ لتلك العقول ، و ما تستفيد منه الأفئدة السامعة . .

و فى هذا المجال يحضرنى قصة من قصص الحوار المقنع ، و المنهج المختار للفت الأنظار ، ففى العصر العباسى كثر الجدل ، و اتسع نطاق الفلسفة ، و تأثر كثير من صفات الايمان ، و قليل من الحصيلة العلمية بآراء أصحاب الشبهات ، الذين لم تردعهم السلطة ، بل فتحت لهم مجال الحوار العلنى ، ففتن الناس ، و قوى أصحاب الحق فى تجثيث حججهم . وكان من أصحاب الشبهات أحد الملحدين الذين

لا يعترفون بوجود الله ، حيث يقولون : إن الكائنات خلقت نفسها ، فرأى الخليفة العباسى مناظرته علناً ، فان غلب كان على حق ، ونصرت دعوته ، وإن غلب طبق فيـــه حكم الله إن لم يتب ، و عقد لذلك مناظرته فى مكان متسع فى الناحية الثانية من دجله ، و اجتمع حشد كبير حضره علية المجتمع و العلماء ، و عهد إلى الامام أبى حنيفة بمناظرته ، و كان مسكنه فى جهة الرصافة ، و أعد له مركب ليعبر به النهر ، و حدد لذلك موعد ، لـكن الجمع اكتمل حشدهم ، و الامام لم يحضر ، و لما استبطأوه أرسل الوالى من يستعجله . . فجاء ، وقال : لقد كنت جالساً بجوار شجرة كبيرة بجوار النهر منذ ساعة مبكرة من صباح هذا اليوم ، انتظرها تنقلى إليكم ، و لما علمت برغبتى انقطعت سيقانها الـكبيرة ، ثم خرج قدوم فشذ بها ، ثم جاء المنشار فنشرها ألواحاً ، ثم تجمعت الألواح وتهيئت على شكل السفينة ، فجاءت المطرقة و المسامير فشدتها ، ثم جاء الزيت فدهنها حتى نزلت للبحر سفينة تدعو للركوب فيهـــا ، و لم أر قاطعاً و لا نجاراً و لا دهاناً و لا عمالا حملوها أو ساعدوا فى عملها و نقلها . . حتى وصلت إليكم ، ورجعت لتنقل غيرى و وعدتها فى ساعة معينة إلى و هى بدون بحار . . فضحك الملحد الذى يريد مناظرته ، و قال إن شيخكم مجنون ، فهل يعقل أن يتم هذا بدون الأيدى البشرية التى تحرك كل هذا العمل . . فقال له أبو حنيفة ألست تقول إن كل ما فى الـكون ليس له خالق و إنما هو أوجد نفسه بنفسه ، كيف تريد للسفينة من قائد و نجار و عمال . . و لا تعترف بالله قادر على كل شئ يدبر هذا الـكون . . فانخذل الرجل و تاب و بين خطأ المنهج الذى ساروا عليه . .

و من يقرأ كتاب الحيرة يدرك نماذج من الحوار المفيد ، و توفيق الله للمخلص الصادق بالجواب المقنع و الحجة القوية ، و الله الموفق .

المنهج الاسلامى لمشكلة التعليم و التربيـة

(الحلقة الأخيرة)

بقلم : الأستاذ على عبد الموجود القاضى
الموجه العام بوزارة التعليم سابقاً

خامساً : أساليب التربية فى الاسلام :

للاسلام أساليبه الخاصة فى التربية وقد اتخذ طرقاً مختلفة إذا أحسن استخدامها فانها تؤدى إلى تربية المسلم التربية التى تجعله قادراً على تحقيق رسالة الاسلام ، و تتلخص أساليب التربية الاسلامية فى الطرق الآتية :

التربية عن طريق القدوة :

القدوة لها أهمية كبيرة فى تربية الفرد و تنشئته و بخاصة فى مرحلة الطفولة — ذلك لأن الطفل يكتسب ألوان السلوك من خلال تقليده للآخرين ومحاكاتهم و عن طريق القدوة يتشرب الطفل المثل و السلوك — و لقد كان محمد ﷺ هو القدوة الكاملة للمسلمين يقول الله تعالى « لقد كان لـكم فى رسول الله أسوة حسنة » (١) .

و الاسلام يقيم التربية على أساس القدوة — فالطفل له قدوة فى أسرته و فى مدرسته — و قد عاب القرآن الـكريم الذين يقولون ما لا يفعلون و بين لهم أن هذا يغضب الله تعالى فقال :

« يأيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون كبر مقتا عند الله أن تقولوا

(١) سورة الاحزاب : الآية ٢١ .

ما لا تفعلون » (١) .

التربية عن طريق العادة :

العادة تؤدى دوراً خطيراً فى حياة الانسان — ذلك لأنها توفر قسطاً كبيراً من الجهد البشرى بتحويله إلى عمل سهل يؤديه الانسان فى صبر — و طريقة تكوين العادة يكون بتكرار عمل معين مرات كافية لجعله جزءاً من حياة الانسان كالصلاة و الصيام .

والتربية الاسلامية تحول الخير كله إلى عادات يقوم بها الانسان دون جهد أو مقاومة و يحول دون الألفة الجامدة بالتذكير الدائم بالهدف و الربط الحى بين القلب البشرى و بين الله تعالى :

التربية بالمواقف المختلفة :

المواقف المختلفة التى تأتى للانسان تعمل على صهره إذا ما وطن نفسه على حل مشكلاتها و ذلك يجعل الانسان قوياً بعد تغلبه على الصعوبات التى تصادفه و لذلك فقد طلب القرآن الكريم من المسلم الصبر فقال : « و اصبر على ما أصابك إن ذلك من عزم الأمور » (٢) .

و على هذا النظام ينبغى أن يسير الأب مع أبنائه و المعلم مع تلاميذه و القائد مع جنوده و كل من بيده ألوان من التربية و التعليم حتى تؤدى هذه الطريقة ثمارها المرجوة .

التربية عن طريق الاقناع :

فى النفس البشرية ميل إلى الاستجابة إذا هى اقتنعت و القرآن الكريم

(١) سورة الصف : الآية ٢ - ٣ .

(٢) سورة لقمان : الآية ١٧ .

يعمل على الاقناع و من ذلك ما قاله : لقمان لابنه : « يا بنى لا تشرك بالله أن الشرك لظلم عظيم » (١) .

و كان رسول الله ﷺ يخاطب الناس على قدر عقولهم و يأمر بهذا و لم يكن يكثر من توجيه أصحابه فى جلسة واحدة خشية أن يسأموا يقول ، ابن عباس رضى الله عنه ، كان رسول الله ﷺ يتخولنا بالموعظة فى الأيام مخافة السآمة علينا .

و التربية الاسلامية يهمها أن يدرك الأطفال الأساس العقلانى لأية قضية مطروحة حتى يكون اقتناعهم عن فهم — و لذلك فانه ينبغى أن تتاح الفرصة للتلاميذ للمناقشة الجادة البناءة حتى تلقى الضوء على جوانب الموضوع المختلفة و من خلال ذلك يمكن أن يقتنع التلاميذ .

و التربية الاسلامية تهتم بتربية المسلم التربية السليمة التى تمكنه من التحكم فى عواطفه و السيطرة عليها و البعد عن التعصب الأعمى .

التربية بالثواب و العقاب :

الله سبحانه و تعالى خلق الجنة و خلق النار و قد وعد بالجنة و وعد بالنار ، فالنفس البشرية تحتاج إلى الثواب و إلى العقاب .

و يبدأ الاسلام بالترغيب و يستخدم كل الوسائل الممكنة و من ذلك قوله تعالى :

« إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلا ، خالدين فيها لا يبغون عنها حولا » (٢) .

فاذا لم يفلح هذا الأسلوب فان الترهيب هو الوسيلة لمن يحتاج إليها و من

(١) سورة لقمان : الآية ١٣ .

(٢) سورة الكهف : الآية ١٠٩ - ١١٠ .

ذلك قوله تعالى :

« والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله » (١) .

ومعنى ذلك أن الاسلام لا يجارى النفوس فى انحرافاتها و لا فى تقصيرها ولا أن يلتمس لها الأعذار فان نتيجة ذلك كله أن يزيد عدد المنحرفين فى المجتمع حتى يصبح الانحراف هو الأساس — و الرفق الزائد كالقسوة الزائدة كلاهما يفسد النفس البشرية .

التربية بالمعرفة النظرية :

للمعرفة قيمة حقيقية فى الاسلام — و الاسلام اعتبر العلم طريقاً لطاعة الله وخشيته كما فرق بين الذين يعلمون وبين الذين لا يعلمون ، وقال إنهم لا يستوون .

و العلم ينمى العقل و الفكر و يساعد على تكوين خلفية ثقافية تجعله قادراً على أن يؤدى دوره فى الحياة ، و المعرفة النظرية تستلزم السلوك حتى يكون لها فائدة — وبذلك يكون هناك ربط بين الفكر و العمل و بين النظرية و التطبيق .

التربية بالنصح و الارشاد :

أسلوب النصح و الارشاد أسلوب فيه مجال كبير للتوجيه إلى ما فيه الخير ويمكن للمعلم أن يختار الوقت المناسب والموقف المناسب حتى تكون الفائدة كاملة .

و الأسلوب غير المباشر فيه فائدة كبيرة لأنه لا يخرج الانسان .

و فى الوقت نفسه يؤدى إلى الغاية المنشودة .

و قد شرح الله تعالى خطبة الجمعة و خطبة العيدين و ما إلى ذلك من الخطب التى تقال فى المناسبات المختلفة التى تذكر الناس و تنصحهم و ترشدهم إلى ما يصلحهم فى الدنيا و الآخرة .

(١) سورة المائدة : الآية ٣٨ .

التربية بالقصة :

النفس البشرية فيها ميل فطرى إلى القصة ، والتربية الاسلامية تدرك ما لها من تأثير ساحر على القلوب و لذلك فانها تستغلها لتكون وسيلة من وسائل التربية و التقويم .

و التربية الاسلامية تستخدم كل أنواع القصة : التاريخية الواقعية المقصودة بأماكنها و أشخاصها وحوادثها و القصة الواقعية التى تعرض نموذجاً لحالة بشرية ، و من النوع الأول قصص الأنبياء و قصص المكذبين بالرسالات و ما أصابهم من جراء التكذيب . ومن النوع الثانى قصة ابنى آدم وقصة أصحاب الجنتين يقول الله تعالى :

لقد كان فى قصصهم عبرة لأولى الألباب ما كان حديثاً يفترى و لكن تصديق الذى بين يديه (١) .

خاتمـــــــة :

الاسلام هو الدين الذى يصب فى الحياة كلها السلام — الذى يحس به المسلم فى داخله فيحس بالهدوء و تحس به الأسرة فتحس بالسكن والمودة ويشيع فى المجتمع فيحس الجميع بالأمن و المساواة و العدالة ، والله سبحانه و تعالى هو السلام الذى خلق الانسان و كرمه و فضله على سائر مخلوقاته و جعله خليفة له فى الأرض و هو به رحيم و قد أرسل الرسل لهدايته و بين له طريق الخير و طريق الشر و سخر له الكون ليكون فى خدمته - و المسلمون مستسلمون لله تعالى بكيانهم حتى لا يبقى شئ من شعور أو عمل لا يخضع لله و لا يرضى بحكمه طاعة له - و المسلم حين يستجيب هذه الاستجابة يدخل فى عالم كله سلام

(١) سورة يوسف : الآية ١١١ .

فلا قلق ولا حيرة ولا صراع فى الحياة المادية حيث تداس فيها القيم والحرمات بلا تحرج و لا حياء .

و إحساس المسلم بأن له رسالة سامية فى هذه الحياة تجعله يرتفع بشعوره و ضميره و نشاطه و عمله بحيث لا يستخدم فى الوصول إلى أهدافه إلا الوسائل المشروعة — و ليس من المهم أن يصل لأن أجره سيأخذه على نيته و عمله — لا على التوصل إلى هدفه .

ومن هنا فان المسلم دائماً يحس بالطمأنينة — لأنه يمشى مع قدر الله تعالى فى طاعة الله تعالى ، و هذا يعطيه الأمن و يجعله يسير فى الحياة بلا قلق و لا حيرة و لا يصطدم بالكون و لا يبذل طاقته فى الصراع الداخلى . . .

و المجتمع الاسلامى الصحيح مجتمع تشيع فيه المودة و المحبة و السلام و الترابط ، وفيه يأمن الجميع على حرياتهم و كراماتهم و حرماتهم و أموالهم .

إن بين ضمير الانسان و حقائق الكون ألفة و مواءمة فطرية — فاذا ما أقبل الانسان ينظر فيها بعقله و حصل معانيها لنفسه فقد حقق المواءمة بينه و بين الكون — وهو التجانس الذى يكتب له به استقرار لضمير وبه يصحب الكون على بصيرة و عاطفة سليمة و تلك حقيقة التوطن الكونى — و ما نراه من بلبلة الفكر و قلق الضمير فى بيئات الغرب سببه : أن الصلة الفكرية بينه و بين الكون لا تحقق المواءمة الصورية لاستقرار النفس يقول محمد أسد : (١) .

« إن الاسلام لا ينظر — كالنصرانية — إلى العالم بمنظار أسود — بل هو يعلمنا أن لا نسرف فى تقدير الحياة الأرضية و ألا نغالى فيها ولا فى قيمتها مغالاة الحضارة الأرضية الغربية الحاضرة ، الاسلام ينظر إلى الحياة بسكينة واحترام

(١) الاسلام على مفترق الطرق تأليف المستشرق محمد أسد « دار العلم للملايين » .

و هو يعد الحياة مرحلة يجتازها فى طريقنا إلى حياة عليا ، و ليس للانسان أن يحتقرها أو يقلل من قيمه الحياة الأرضية » .

و بعد : فقد حققت التربية الاسلامية أهدافها كاملة فى جميع الأوقات التى ربى الناشئة عليها .

فاذا ما أعدنا ذلك العهد و عدنا إلى المنهج الالهى الذى يقيم علاقة الانسان الطيبة بالفكر و الكون — فاننا سنعيش — إن شاء الله تعالى — آمنين مطمئنين سعداء فى عزة و كرامة ، بذلك يستحوى المسلم الفطرة النفسية والفكرية و العملية .

إن الاسلام جاء ليقيم العلاقة بين الكون و الانسان على امتداد الزمان و المكان على أوثق الصلات ، وبذلك يعيش الانسان فى سلام مع نفسه و مع غيره ومع الحياة و مع الكون ومع خالق الحياة و الكون ، و بذلك يمكننا أن نؤدى و ظيفتنا فى هذه الحياة و نكون كما كان أسلافنا خير أمة أخرجت للناس تأمر بالمعروف و تنهى عن المنكر و تؤمن بالله تعالى الخالق الرازق ، ويتحقق فينا ما أراده رب العزة لنا من أن نكون الأمة الوسط التى تكون شهيدة على الناس و يكون الرسول عليها شهيدا :

نعم إننا فى حاجة إلى إعادة التربية فى بيوتنا و فى مدارسنا و فى مجتمعاتنا و فى جامعاتنا على أساس التربية الاسلامية حتى تتضح المفاهيم و يصح الاتجاه .

و بذلك يعيش المجتمع الاسلامى فى أمن و سلام .

و بذلك أيضاً يستطيع إنقاذ الحضارة الغربية من اتجاهاتها الخاطئة التى تكاد أن تؤدى بها إلى موارد التهلكة ، ولا بد و أن نجعل خطواتنا كلها متمشية مع الآية الكريمة :

« قل إن صلاتى و نسكى و محياى و مماتى لله رب العالمين لا شريك له » (١) .

(١) سورة الأنعام : الآية ١٦٢ .

فاكهة المجالس ، الغيبة

-(الحلقة الأخيرة)-

دكتور عمر يوسف حمزة
جامعة قطر

أثر الغيبة على الفرد و المجتمع :

الغيبة تلك الجريمة المنكرة لها آثار خطيرة و كبيرة على حياة الأفراد و الجماعات ، منها ما هو عاجل فى الدنيا و منها ما هو آجل فى الدار الآخرة .

أولا : أثر الغيبة على الفرد :

من آثار الغيبة على الفرد فى الدنيا ما يلى :

١- أن لا يصدقه أحد لأنه فاسق و ظالم لنفسه و لمن يغتابه .

٢- أن يبغضه الناس فى الله تعالى و يكرهوا رؤيته و الجلوس إليه و الحديث معه ، و يصبح منبوذاً من كل أفراد المجتمع و لا سيما الصالحين من عباد الله تعالى ، و هو جليس السوء الذى حذر منه رسول الله ﷺ فى الحديث (١) .

(١) عن ابن موسى الأشعرى رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال : إنما مثل الجليس الصالح و جليس السوء كحامل المسك و نافخ الكير . . الخ ، متفق عليه رواه البخارى و مسلم ، أنظر : من كنوز السنة ص ٣٢ ، فالمغتاب نافخ كير ، فليس هناك من تشبهه بالحداد ، الذى ينفخ بكيره ، فان معه فى خسارة دائمة فان لم يحرقك بناره ، احرقك بشراره ، فصحبته هم دائم ، و حزن لازم ، و لهذا أمر الله تعالى بصحبة الصالحين : « يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ، و كونوا مع الصادقين » التوبة /١١٩ .

٣- أن يصفه الناس بالحسد و الحقد و الفشل فى الحياة ، و من آثار الغيبة على الفرد فى الدار الآخرة فانها تؤدى إلى نقصان حسنات المغتاب و زيادة سيئاته ، و هو من المفلسين من الحسنات الذين جاء ذكرهم فى الحديث الصحيح الذى يرويه أبو هريرة رضى الله عنه ، عن النبى ﷺ أنه قال : « أتدرون من المفلس من أمتى يوم القيامة » قالوا : المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع ، فقال : « إن المفلس من أمتى من يأتى يوم القيامة بصلاة و صيام و زكاة ، و يأتى قد شتم هذا ، و قذف هذا ، و أكل مال هذا ، و سفك دم هذا ، و ضرب هذا ، فيعطى هذا من حسناته ، و هذا من حسناته ، فان فنيت حسناته قبل أن يقضى ما عليه ، أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ، ثم طرح فى النار » (١) .

ثانياً أثر الغيبة على المجتمع :

من آثار الغيبة على المجتمع أنها تؤدى إلى تفكك المجتمع و ضعفه ، و تؤثر تأثيراً كبيراً فى العلاقات العامة بين المسلمين ، و كما لا يجوز إيذاء المسلم فلا يجوز كذلك إيذاء غير المسلم ، فقد دلت الأدلة على تحريم إيذاء الذمى ، فالغيبة إذا انتشرت بين أفراد المجتمع فانها تؤذى الأسرة و القبيلة ، و أهل البلدة ، أو الدولة ، و يشمل ضررها البعيد و القريب و الحاضر و الغائب ، و الميت و الحى ، فاذا كانت هذه بعض آثار الغيبة فى الفرد و المجتمع فينبغى على المسلم أن يضع نصب عينيه قول الله تعالى : « ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد » (٢) أى ملكان يكتبان كل ما يتلفظ به العبد فما يتكلم بشئ إلا كتب عليه .

(١) رواه مسلم فى صحيحه برقم : (٢٥٨١) و انظر رياض الصالحين ص ١٤١ و من هدى السنة ص /١٦٣ .

(٢) سورة ق : ١٨ .

قال القرطبي فيما نقله عن مجاهد بن جبر : يكتب على الانسان كل شئ حتى الأنين فى مرضه ، و قال عكرمة : لا يكتب إلا ما يؤجر به أو يؤزر عليه (١).

حكم الغيبة :

الغيبة محرمة باتفاق العلماء ، وقد وردت الأحاديث الصحيحة فى الترهيب عن الغيبة ، أخرج الشيخان عن أبى بكر رضى الله عنه أن الرسول الله ﷺ قال فى خطبة الوداع : « إن دماءكم و أموالكم و أعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا فى شهركم هذا فى بلدكم هذا ، ألا هل بلغت ؟ (٢) و أخرج البزار بسند قوى : « من أربى الربا استطالة المرء فى عرض أخيه » و هو فى بعض نسخ أبى داؤد إلا أنه قال : « إن من الكبائر استطالة الرجل فى عرض رجل مسلم بغير حق » (٣) .

و أخرج أبو يعلى بسند صحيح : أتدرون أربى الربا عند الله استحلال عرض أمرىء مسلم ، ثم قرأ رسول الله ﷺ « و الذين يؤذون المؤمنين و المؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتاناً و إثماً مبيناً » (٤) حسب المسلم زجراً و ترهيباً و تخويفاً ، بعد أن يسمع الآيات التى وردت فى الغيبة ، و كذلك الأحاديث التى بينت خطورتها ، فعلى المسلم أن يبتعد كل البعد عن هذه الخصلة الذميمة التى انتشرت بين الناس و لم يسلم منها جاهل و لا عالم ، إلا من يشاء ربك ، و حتى فى المساجد يذهب المصلى ليصلى فاذا حانت له فرصة فى الكلام

(١) أنظر الجامع لأحكام القرآن للامام القرطبي ج ١٧ ص ١١ ، و انظر الدر المنثور فى التفسير بالمأثور للسيوطى ج ٦ ص ١٠٣ ، ١٠٤ ، ١٠٥ .
(٢) متفق عليه انظر صحيح مسلم ج ٤ ص ٣٧ فى حديث حجة رسول الله ﷺ من رواية جابر بن عبد الله رضى الله عنه ، و انظر فقه السيرة د، محمد سعيد رمضان ص ٣٤٣ .
(٣) أبو داود (٤٨٩٠) و سنده صحيح . (٤) سورة الأحزاب الآية ٥٨ .

عن أخيه لا يألو جهداً فى استطالة لسانه فى عرض أخيه المسلم (١) و قال عمر ابن عبد العزيز: أدركنا السلف ، وهم لا يرون العبادة فى الصوم ولا فى الصلاة . و لكن فى الكف عن أعراض الناس (٢) .

ما يباح من الغيبة :

قد تكون هناك مصالح شرعية لا يتوصل إليها إلا بذكر العيوب ، و حينئذ يترخص الاسلام فى ذكر هذه العيوب تحقيقاً لهذه المصالح و الأسباب المبيحة للغيبة و هى على النحو التالى :

أولا : التظلم ، فيجوز للمظلوم الذى يشكو ظالمه ، و يتظلم منه فيذكره بما يسوؤه بما هو فيه حقاً ، فقد رخص له فى التظلم و الشكوى إلى السلطات و القاضى و غيرهما ممن له وليه أو قدرة على إنصافه من ظالمه ، فيقول ظلمنى فلان بكذا ، قال الله تعالى : « لا يحب الله الجهر بالسوء من القول إلا من ظلم و كان الله سميعاً عليماً » (٣) و الاسلام يعتبر المظلوم صاحب مقال ، وفى الوقت الذى يستبيح فيه عرض الظالم فيقول الرسول ﷺ « إن لصاحب الحق مقالا » (٤) قال الامام محمد رشيد رضا : « لا يحب الله الجهر بالسوء من القول : « إلا من ظلم » أى إن من ظلمه ظالم فجهر بالشكوى ممن ظلمه شارحاً ظلامته للحكام أو غير الحكام ممن ترجى نجدته و مساعدته على إزالة الظلم ، فلا حرج عليه فى هذا الجهر ولا يكون خارجاً عما يحبه الله تعالى . لأن الله تعالى لايحب لعباده أن يسكتوا على الظلم ، و يخضعوا للضيم بل يحب لهم أن يكونوا أعزاء إباة ، فاذا تعارضت

(١) تطهير المجتمعات من أرجاس الموبقات ص ٢٥٧ .
(٢) إسلامنا للشيخ سيد سابق ص ٢٨٤ .
(٣) سورة النساء : الآية ١٤٨ .
(٤) إسلامنا ص ٢٨٤ ، فقد بحثت عن هذا الحديث فلم أعثر على من خرجه . و الله أعلم .

مفسدة الجهر بالشكوى من الظلم و هو من قول السوء ، و مفسدة السكوت على الظلم و هو مدعاة قسوة ، و الاستمرار عليه المؤدى إلى هلاك الأمم و خراب العمران ، كان أخف الضررين مقاومة الظلم بالجهر بالشكوى منه ، و بكل الوسائل الممكنة (١) و إذا سكت المظلوم عن حقه كان سكوته إثماً ، و كان إيذاناً بأنه غير جدير بالحياة .

الثانى : الاستعانة على تغيير المنكر ، و رد العاصى إلى الصواب ، فيقول لمن يرجو قدرته على إزالة المنكر : فلان يعمل كذا ، فازجره عنه و نحو ذلك ، و يكون مقصوده التوصل إلى إزالة المنكر . فان لم يقصد ذلك كان حراماً .

الثالث : الاستفتاء ، فيقول للفتى : ظلمنى أبى ، أو أخى ، أو زوجى ، أو فلان بكذا ، فهل له ذلك ؟ و ما طريقى فى الخلاص منه ، و تحصيل حقى ، و دفع الظلم ؟ ونحو ذلك . فهذا جائز للحاجة ، و لكن الأحوط و الأفضل أن يقول : ما تقول فى رجل أو شخص ، أو زوج ، كان من أمره كذا ؟ فانه يحصل به الغرض من غير تعيين ، و مع ذلك فالتعيين جائز كما سيأتى فى حديث هند ، باذن الله تعالى .

الرابع : تحذير المسلمين من الشر و نصيحتهم ، و ذلك من وجوه :

جرح المجروحين من الرواة و الشهود ، و ذلك جائز باجماع المسلمين ، بل واجب للحاجة (٢) .

(١) تفسير المنار ج ٦ ص ٥ .

(٢) راجع أحياء علوم الدين للغزالى ، كتاب اللسان من ربع المهلكات و راجع شرح النورى لمسلم ، و رسالة رفع الريبة فيما يجوز و ما لا يجوز من الغيبة للشوكانى . ت : ٤٣٠ ، و رياض الصالحين ص ٥٧٦ .

و منها المشاورة فى مصاهرة إنسان ، أو مشاركته ، أو إيداعه ، أو معاملته ، أو غير ذلك ، أو مجاورته ، و يجب على المشاور أن لا يخفى حاله ، بل يذكر المساوىء التى فيه نية النصيحة .

و منها إذا رأى متفقها يتردد إلى مبتدع ، أو فاسق يأخذ عنه العلم ، و خاف أن يتضرر المتفقه بذلك ، فعليه نصيحته ببيان حاله ، بشرط أن يقصد النصيحة ، و هذا مما يغلط فيه ، و قد يحمل المتكلم بذلك الحسد ، و يلبس الشيطان عليه ذلك ، و يخيل إليه أنه نصيحة ، فليتفطن لذلك .

و منها أن يكون له ولاية لا يقوم بها على وجوهها ، إما بأن لا يكون صالحاً لها و إما يكون فاسقاً ، أو مغفلا ، و نحو ذلك ، فيجب ذكر ذلك لمن له عليه ولاية عامة ليزيله ، و يولى من يصلح . أو يعلم ذلك منه ليعامله بمقتضى حاله ، ولا يغتر به ، و أن يسعى فى أن يحثه على الاستقامة أو أن يستبدله (١) .

الخامس : هناك بعض نماذج من الناس لا يتورعون عن المجاهرة بالاثم و الاعلان عن فجورهم . . هؤلاء لاكرامة لهم بعد أن ألقوا عن وجوههم جلباب الحياء و العفة ، كالمجاهر بشرب الخمر ، و مصادرة أموال الناس ، و أخذ المكس ، و جباية الأموال ظلماً و تولى الأمور الباطلة ، فيجوز ذكره بما يجاهر به و يحرم ذكره بغيره من العيوب ، إلا أن يكون لجوازه سبب آخر (٢) عن عائشة رضى الله عنها أن رجلا استأذن على النبى ﷺ فقال : إئذنوا له ، بئس أخو العشيرة (٣) متفق عليه (٤) .

(١) رياض الصالحين ص ٥٧٧ . (٢) إسلامنا سيد سابق ص ٢٨٥ .

(٣) العشيرة : القبيلة .

(٤) أخرجه البخارى فى صحيحه ج ١٠ ص ٣٩٣ ، و صحيح مسلم برقم (٢٥٩١) قد غلب استعمال المكس فيما يأخذه أعوان السلطان ظلماً عند البيع أو الشراء : المصباح المنير للفيومى ص ٢٢٠ .

احتج بهذا الحديث البخارى فى جواز غيبة أهل الفساد و أهل الريب (١)

وقال ﷺ « إن من شرار الناس الذين يكرمون اتقاء ألسنتهم .. الحديث .. (٢)

و عن عائشة رضى الله عنها قالت : قال رسول ﷺ « ما أظن فلانا و فلانا يعرفان من ديننا شيئاً » (٣) رواه البخارى ، و قال الليث بن سعد أحد رواة هذا الحديث : هذان الرجلان كانا من المنافقين ، فنى هذه الأحاديث جواز غيبة الجهلة ، و الفسقة ، و الأشرار ، لتحذير الناس من شرهم ، و لعلهم يرتدعون إذا بلغهم ما يقال عنهم (٤) .

السادس : أن يكون الانسان معروفاً بلقب مثل الأعمش ، و الأعمى ، و الأصم ، و الأعرج ، و الأحول ، و غيرهم ، جاز تعريفهم بذلك ، و يحرم إطلاقه على جهة التنقيص ، و لو أمكن تعريفه بغير ذلك كان أولى ، فهذه ستة أسباب ذكرها العلماء و أكثرها مجمع عليه ، و دلائلها من الأحاديث الصحيحة مشهورة و قد تقدم بعض هذه الأحاديث و من ذلك أيضاً .

ما رواه الشيخان عن فاطمة بنت قيس رضى الله عنها قالت : أتيت النبى ﷺ ، فقلت : إن أبا الجهم و معاوية خطباني ؟ فقال رسول الله ﷺ : « أما معاوية ، فصعلوك (٥) لا مال له ، و أما أبو الجهم فلا يضع العصا عن عاتقه » متفق عليه (٦) .

(١) رياض الصالحين ص ٥٧٧ .

(٢) رواه أبو داود فى سننه ، و أخرجه البخارى ١٠/٣٩٣ ، و مسلم برقم (٢٥٩١) .

(٣) أخرجه البخارى فى صحيحه ج ١٠ ص ٤٠٥ .

(٤) إسلامنا ص ٢٨٦ .

(٥) بضم الصاد : الفقير ، أنظر الفائق فى غريب الحديث للزمخشرى ج ٢ ص ٣٠١ .

(٦) أنظر صحيح مسلم برقم (١٤٨٠) و أخرجه مالك فى الموطأ ج ٢ ص ٥٨٠ ، و الشافعى فى الرسالة رقم (٨٥٦) .

و فى رواية لمسلم : « و أما أبو الجهم فضراب للنساء » و هو تفسير لرواية : « لا يضع العصا عن عاتقه » و قيل : معناه كثير الأسفار ، و عن عائشة رضى الله عنها قالت : قالت هند امرأة أبى سفيان للنبى ﷺ : إن أبا سفيان رجل شحيح (١) و ليس يعطينى ما يكفينى و ولدى إلا ما أخذت منه و هو لا يعلم ؟ قال : « خذى ما يكفيك و ولدك بالمعروف » متفق عليه (٢) .

كفارة الغيبة :

اختلف العلماء فيما يكفر الغيبة فبعضهم يرى أنه يجب على من اغتاب الناس أن يستحل من اغتابه ، إن لم يكن فى الاستحلال مفسدة ، و بعضهم قال : فليكثر من الاستغفار و التوبة كما قال تعالى : « يا أيها الذين آمنوا توبوا إلى الله توبة نصوحا عسى ربكم أن يكفر عنكم سيئاتكم و يدخلكم جنات تجرى من تحتها الأنهار يوم لا يخزى الله النبى و الذين آمنو معه نورهم يسعى بين أيديهم و بأيمانهم يقولون ربنا أتمم لنا نورنا و اغفر لنا إنك على كل شئ قدير » (٣) .

قال العلماء : التوبة واجبة من كل ذنب ، فان كانت المعصية بين العبد و بين الله تعالى لا تتعلق بحق آدميين ، فلها ثلاثة شروط :

أحدها : أن يقلع عن المعصية .

الثانى : أن يندم على فعلها .

الثالث : أن يعزم أن لا يعود إليها أبداً ، فان فقد أحد الثلاثة لم تصح توبته .

(١) شحيح : أى بخيل و حريص .

(٢) أخرجه البخارى فى صحيحه ج ٩ ص ٤٤٤ ، ٤٤٥ و مسلم فى صحيحه برقم (١٧١٤) .

(٣) سورة التحريم ، الآية : ٨ .

و إن كانت المعصية تتعلق بآدمى فشروطها أربعة : هذه الثلاثة و أن يبرأ من حق صاحبها ، فان كانت مالا أو نحوه رده إليه ، و إن كانت حد قذف و نحوه مكنه منه ، أو طلب عفوه ، و إن كانت غيبة استحله منها ، و يجب أن يتوب من جميع الذنب فان تاب من بعضها صحت توبته عند أهل الحق من ذلك الذنب و بقى عليه الباقى ، و قد دل على وجود التوبة آيات القرآن الكريم و أحاديث الرسول الكريم ﷺ و أجمعت الأمة على ذلك (١) قال جل شأنه : « و توبوا إلى الله جميعاً أيها المؤمنون لعلكم تفلحون » (٢) .

و عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « و الله إنى لأستغفر الله و أتوب إليه فى اليوم أكثر من سبعين مرة » رواه البخارى (٣) و روى عن النبى ﷺ أنه قال : « إن كفارة الغيبة أن تستغفر لمن اغتبته تقول : اللهم اغفرلنا و له » (٤) .

و المذهب المختار أن الاستغفار لمن اغتيب ، و ذكر محامده يكفر الغيبة ، و لا يحتاج إلى إعلامه أو استسماحه (٥) .

الحمد لله الذى أنعم على بكتابة هذا البحث الذى أرجو الله تعالى أن ينفع به المسلمين و المسلمات و أن يجعله فى ميزان حسناتى ، و أن يعلى به من درجاتى عنده بمنه و كرمه إنه جواد كريم ، وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت و إليه أنيب .

---

(١) رياض الصالحين ص ٤٢ بتصرف .

(٢) سورة النور ، الآية : ٣١ .

(٣) أخرجه البخارى فى صحيحه ج ١١ ص ٨٥ ، و أخرجه الترمذى (٣٢٥٥) .

(٤) إسلامنا سيد سابق ص ٢٨٧ و بعد البحث لم أجد من خرج هذا الحديث و الله أعلم .

(٥) أنظر فقه السنة ج ٤ ص ٢١١ .

شرف الدين البوصيرى

فى قصيدته الميمية

بقلم : الأستاذ المحقق أبو محفوظ الكريم معصومى
أستاذ فى الحديث و التفسير
بالمدرسة العالية بكلكتا (غرب البنغال)

البوصيرى هو شرف الدين أبو عبد الله محمد بن سعيد بن حماد بن محسن بن عبد الله بن حيانى بن صنهاج بن ملال الصنهاجى (٦٠٨هـ — ٦٩٦ /٦٩٧هـ) أحد الشعراء المفلقين فى القرن السابع الهجرى (١) قد بلغ الذروة و الغارب فى المديح النبوى و قلما نشأ بعد عصر الصحابة من يطاوله فى هذا الموضوع ، من قصائده النبوية لامية موسومة بذخر المعاد (٢) على وزن القصيدة المأثورة للكعب و قوافيها ، كما أشرنا إليها ، و منها همزيته الشهيرة و نائيك بها فى الروعة و الانسجام و نهاية الرصف و طلاوة البيان ، حتى إن الحلبى على بن برهان الدين اقتبس معظم أبياتها فى شتى الأماكن من تأليفه الحافل فى السيرة ، إنسان العيون (٣) غير

---

(١) انظر لترجمة البوصيرى ، كتاب الوافى بالوفيات للصفدى ج ٣ ص ١٠٥-١١٣ ، فوات الوفيات للكتبي (ط مصر سنة ١٩٥١) ج ٢ ص ٤١٢ — ٤١٩ (رقم ٤١١) كشف الظنون (فلوجل) ج ٤ ص ٥٢٣ ، ٥٣٣ (رقم ٩٤٤٩) تاج العروس ج ٣ ص ٤٩ (بصر) وما إليه من المراجع .

(٢) ورد اسمها فى طبعة تونس (ذفر) أى بالفاء مكان الخاء المعجمة كما نبه على ذلك يوسف اليان سركيس (معجم المطبوعات ص ٦٠٥ رقم ٢) .

(٣) راجع إنسان العيون فى سيرة الأمين المأمون (ط. سنة ١٢٤٩هـ) ج ١ : ص ٣ ، ٢٦ ، ٤٢ ، ٤٧ ، ٥٢ ، ٥٤ ، ٥٥ ، ٦١ ، ٦٨ ، ٧٠ ، ٨٧ ، ٩٦ — ٩٧ ، ١٣٥ ، ١٨٣ ، ١٨٤ ، ١٩٤ ، ٢٠٢ ، ٢٠٤ ، ٢٢٦ ، ٢٤٠ ، ★

أن الوردة النضرة العطرة فى حدائق البوصيرى هى الميمية الشهيرة السائرة على الألسنة على الدوام باسم البردة ، و يرى صاحبنا الفاضل الدكنى أن هذه الميمية لا يتجه انتشار ذكرها باسم البردة فى شئ حيث قال ، ما معناه :

« أبو عبد الله شرف الدين المتوفى سنة ٦٩٦ هجرية ، المصرى البوصيرى ، اشتهرت قصيدته الميمية فى بلاد الهند و على الخصوص فى قطرها الجنوبى باسم البردة الشريفة ، لأمر لا يدرى ... و مهما يكن سبب ذلك فان تسمية قصيدة البوصيرى بالقصيدة البردة ، جاءت على خلاف الواقع ، ثم استمر يجرى على مجراه حتى قال ما يتلو مغزاه :

« أحر بقصيدة البوصيرى أن تلقب بالبرأة ، فان البوصيرى قد أصابه مرض الفالج ولما فرغ من نظم قصيدته الميمية ، رأى فى المنام أن رسول الله أمر يده المباركة على جسمه وما أن استيقظ البوصيرى من نومه إلا أحس ببرد الشفاء ، و يروى عن البوصيرى نفسه أن رسول الله ﷺ أمر يده الشريفة على جسده ولا أن النبى عليه السلام غطاه بردائه » (١) .

قد دلنا هذا الكاتب فى ضمن ما حقق و بين ، على نتائج عدة تالية :

(الف) ميمية البوصيرى قد اشتهرت فى الهند و القطر الجنوبى خاصة بالبردة .

(ب) قد فاته أن يشير إلى أن البوصيرى نفسه سماها بهذا الاسم أو لغيره من الأسماء أو تركها غفلا .

★ ٢٧٣ ، ٢٧٥ ، ٢٧٧ ، ٢٨١ ، ٢٩٢ ، ٢٩٥ ، ٣٠١ ، ٣٠٥ ، ٣٢٧—٣٢٨ ، ٣٢٩ ، ٣٣٠ ، ٣٤٠ ، ٣٦١ ، ٣٨٥ ، ٣٨٦ ، ٤٣١ ، ٤٣٢ ، ٤٣٤ ٤٣٨ ، ٤٤٠ ، ٤٤٢ ، ٥٠٠ ، ٥٥١ —ج ٢ : ٢٧ — ٢٨ ، ٤٥ ، ٥٩ ، ٩٦ — ٩٧ ، ١٢٢ ، ١٤١ ، ١٤٨ ، ١٦١ ، ١٨٠ ، ٢٢٢ ، ٢٢٣ ، ٢٣٤ ، ٢٤٢ ، ٣٥١ ، ٣٥٥ ، ٤١٦ ، ٤٥٣ .

(١) مجلة برهان الشهرية (ندوة المصنفين دلهى) عدد مارس سنة ١٩٧٩ ص ١٥٢ .

(ج) إنه على الظاهر مشى على الاقرار بمنام البوصيرى دون أن يشك فيه .

(د) ثم الظاهر أنه اعتقد بصدد ما ساقه وأثبته أنه التصوير الكامل لقصة المنام .

ولولا هذه الأمور تنطوى على عثرات لآثرنا المرور بها فى هدوء فلا بد إذن من مناقشة هذه الأجزاء واحداً بعد واحد :

أما الجزء الأول فلا أوافق صاحبنا على هذا القول ، فان ذلك يوضح بأن القصيدة عرفت بالبردة فى جنوب الهند خصوصاً أو فى بلاد الهند وحدها ، و هذا خلاف الواقع فقد عرف الخبراء بتاريخ الأدب العربى جيداً أن ميمية البوصيرى انتهت إلى القطر الهندى أو إلى جنوب الهند بعد وفاة ناظمها بزمن غير يسير و أن القصيدة اشتهرت باسم البردة منذ نشأتها الأولى فى عقر دارها بمصر و استمرت تروى و تنشد وهى تسمى بالبردة فى الشام و العراق و سائر البلدان العربية ثم بلاد الفرس و الأفاغنه و الأتراك فلا معنى لذكر الهند و قطرها الجنوبى خاصة فى صدد هذه التسمية الفاشية .

أما الجزء الثانى فيجدر بالذكر ههنا أن الحاج خليفة ذكر قصيدة البردة للبوصيرى باسم الكواكب الدرية (١) فى مدح خير البرية ، و يساعده على ذلك قول جلال بن قوام بن الحكم فى مستهل شرحه على البردة :

« قد اطلعت على القصيدة الموسومة بالكواكب الدرية فى مناقب أشرف البرية و تعرف بالبردة الشريفة التى نظمها البوصيرى » (٢) .

و هذا الشرح لجلال من مؤلفات سنة ٧٩٢ هجرية ، على أن ابن القباقبى شمس الدين محمد بن خليل الحلبى المتوفى ٨٤٩ هجرية ، خمس البردة بهذا الاسم عينا .

(١) حاجى خليفة : كشف الظنون (فلوجل) ج ٤ ص ٥٢٣ رقم ٩٤٤٩ .

(٢) نفس المرجع الآنف : ج ٤ ص ٥٣١ .

أما الجزءان الثالث و الرابع فلهما علاقة بواقعة المنام ، و العجب من صاحبنا كيف استساغ أن يذكر جزءاً و يعرض عن جزء أساسى مثله ، من هنا يتحتم أن أسردها على ما وردت فى المراجع المعتمدة و قد ذكرها صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدى فى كتابه الوافى بالوفيات و محمد بن شاكر الكتبى فى مؤلفه فوات الوفيات بالبسط و التوضيح و اكتفينا ههنا بما سرده الكتبى على ما يلى (١) :

« قال البوصيرى : كنت قد نظمت قصائد فى مدح رسول الله ﷺ ، منها ما كان اقترحه على الصاحب زين الدين يعقوب بن الزبير ، ثم اتفق بعد ذلك أن أصابنى الفالج ، فأبطل نصفى ، ففكرت فى عمل قصيدتى هذه البردة ، فعملتها و استشفعت به إلى الله تعالى فى أن يعافينى ، و كررت إنشادها ، و بكيت ، و دعوت و توسلت ، و نمت ، فرأيت النبى ﷺ فمسح على بيده المباركة و ألقى على بردة ، فانتبهت و وجدت فى نهضة ، فقمت و خرجت من بيتى و لم أكن أعلمت بذلك أحداً ، فلقينى بعض الفقراء فقال لى : أريد أن تعطينى القصيدة التى مدحت بها رسول الله ﷺ ، فقلت أيها ؟ فقال التى أنشأتها فى مرضك و ذكر أولها ، و قال : و الله لقد سمعتها البارحة وهى تنشد بين يدى رسول الله ﷺ ، فرأيت رسول الله ﷺ يتمايل و أعجبته و ألقى على من أنشدها بردة ، فأعطيته إياها ، و ذكر الفقير ذلك و شاع المنام إلى أن اتصل بالصاحب بهاء الدين بن حنا (٢) ، فبعث إلى و أخذها ، و حلف أن لا يسمعها إلا قائماً ، حافياً ،

(١) راجع فوات الوفيات ج ٢ ص ٤١٨—٤١٩ .

(٢) الوزير بهاء الدين على بن محمد (٦٠٣—٦٧٧هـ) نصبه الملك الظاهر ركن الدين بيبرس البندقدارى على منصب الوزارة فى سنة ٦٥٩هـ ، و استمر ★

مكشوف الرأس ، و كان يحب سماعها هو و أهل بيته ، ثم إنه بعد ذلك أدرك سعد الدين الفارقى المرقع رمد أشرف منه على العمى ، فرأى فى المنام قائلا يقول له : إذهب إلى الصاحب وخذ البردة و اجعلها على عينيك فتعافى باذن الله عز وجل ، فأتى إلى الصاحب و ذكر منامه ، فقال ما أعرف عندى من أثر النبى ﷺ بردة ، ثم فكر ساعة و قال : لعل المراد قصيدة البردة التى للبوصيرى . . يا ياقوت ! افتح الصندوق الذى فيه الآثار و أخرج القصيدة للبوصيرى وأت بها ، فأتى بها ، فأخذها سعد الدين و وضعها على عينيه فعوفى ومن ثم سميت البردة ، و الله أعلم » .

هذا المنام ذكره الحاج خليفة بالاختصار (١) و لذلك لم يقع فى بيانه الوجيز أى ذكر لالقائه ﷺ البردة على البوصيرى ، و لكنه استمر فى سياقه

★ يتعهدها إلى نهاية عهده ثم عهد بها بعد وفاة بيبرس زمن خليفة الملك السعيد بركة ، وحاول أن يجمع الآثار النبوية إما هو أو حفيده تاج الدين محمد بن فخر الدين بن بهاء الدين على اختلاف أقوال أصحاب التاريخ فى ذلك ، و أن يبنى لها رباط الآثار ، و صرح العلامة المحقق أحمد تيمور باشا بأن الثانى هو صاحب رباط الآثار (انظر الآثار النبوية — ص ٢٨—٣٣) غير أن عبارة ابن شاكر الهيثمى التى قدمها العاجز فى صلب المقال يشهد بسباقها و سياقها أن الذى عنى بآثار النبى وصونها فى رباط الآثار هو الأول و أن صاحب البردة كان معاصراً له إلا أن تاج الدين أيضاً استوفى من عمره ستا و خمسين سنة ، عند وفاة البوصيرى فى سنة ٦٩٦هـ فهو أيضاً معدود فيمن عاصرهم البوصيرى ، ومهما يكن فان هذه المسألة تحتاج إلى مقالة أخرى مفردة فاكتفينا هنا بالاشارة .

(١) كشف الظنون (فلوجل) ج ٤ ص ٥٢٤ .

يذكر خبر سعد الدين الفارقى و فى ضمنه ورد أيضاً (و خذ عنه البردة) (١) و هذه الصورة للمنام عدها الحاج خليفة أقرب إلى الصواب ثم نقل عن مصنفك أحد شراح البردة أن النبى الكريم ألقى البردة على البوصيرى فى منامه وقد وجدها البوصيرى على جسمه بعد اليقظة (٢) ثم حكى الحاج خليفة عن هذا الشارح أن أحد الأمراء مرض فاستمر يقرأ القصيدة الميمية للبوصيرى حتى شفاه الله شفاء كاملا ، فسر الأمير على هذه النعمة الجسيمة و أعطى الناظم (أى البوصيرى) بردة (٣) فاشتهرت القصيدة لذلك باسم البردة .

فهناك وجوه عديدة لاشتهارها باسم البردة ، مع ذلك يبدو لى أن سياق الصفدى و ابن شاكر الكتبى فى هـذا الصدد أكثر استنادا و أحرى بالاعتماد بالنسبة إلى قول مصنفك والحاج خليفة ، ثم إن القدر المشترك بينهم جميعاً أجدر بالترجيح ، و إنما يخالجنى من قول مصنفك هذا الجزء: أن البوصيرى وجد على جسمه بعد اليقظة نفس البردة التى ألقيت عليه فى المنام .

لقد أقر الكاتب الفاضل بما وقع للبوصيرى فى المنام فسرد أحد الجزئين أن رسول الله أمر يده المباركة على جسد البوصيرى ، و لكنه آثر السكوت عن الجزء الآخر ومع هذا الصمت زاد بين العكفين قائلا (وليس أنه ﷺ غطاه بردائه) فكأنه اراد بذلك النقض على هذا الجزء بدون حجة صحيحة ، على أن البحث النزيه يقتضى أن يسرد ما ورد عن منام البوصيرى بتمامه حرفاً حرفاً كما ورد فى سياق الصفدى و الكتبى و من تلاهما من أكثر شراح البردة سرداً

(١) المرجع الآنف الذكر ج ٤ ص ٥٢٥ .

(٢) نفس المرجع المذكور آنفا .

(٣) نفس المرجع المذكور آنفا .

أميناً ، ثم يتسع المجال للرد أو القبول على ضوء الأدلة ، أما الاقرار بجزء وغض البصر من جزء مثله بلا دليل يساعد على الاقرار أو على الانكار فليس بمعقول فى شئ .

و ممن ألم بهذا المنام الشيخ إبراهيم الباجورى (١) ومع تصديه للاختصار ذكر الجزئين معتمداً فى ذلك على بيان البوصيرى نفسه و لعله استقى من كتب الصفدى و الكتبى أو من اقتفى قفوهما .

فاذا وقع فى المنام ما سبق ، ولم ينقل الرد عليه عن أى واحد من أهل التحقيق و مشى عليـه الجمهور بالقبول فكيف يستصوب أن يقال (إن تسمية قصيدة البوصيرى بالبردة تخالف الواقع) و بالاضافة إلى ذلك إذا صح الاستدلال بما روى عن البوصيرى من منامـه فهلا نقول كنا فى خيرة بين الاسمين أعنى البردة بالدال و البرأة بالهمزة لولا الشائع على ألسنة الجمهور منـذ البدء هو اسم البردة بالدال ، فقد بلغ هذا من الشهرة درجة بحيث إن الاسم الذى سمى به الناظم قصيدته قبل أن يرى المنام أغنى الكواكب الدرية قلما يخطر ببال كبار الفضلاء حتى من طبقـة صاحبنا فلا بأس إذن إن تركنا البردة بالدال على حالها الأولى من الغلبـة على البرءة بالهمزة ، ثم إن علة التسمية بالبردة احتوتها رواية الرؤيا المنحدرة إلينا عن مؤلف البردة بواضح الأساليب ، و من هنا طبق هذا الاسم جوانب العالم كلها قديماً وحديثاً فلا فائدة فى تسوية الطريق لاقتراح متأخر أو جديد .

ثم هذا الاقتراح الذى ذكره صاحبنا نقلا عن العلامة الأديب ذى الفقار على الديوبندى قد تطرق إليه قبله بكثير العلامة الشهير عبد القادر البغدادى (٢)

(١) الباجورى ، الحاشية على البردة (ط . سنة ١٢٨٢ — ص ٣ .

(٢) راجع الآثار النبوية للعلامة أحمد تيمور باشا — ص ١٦ ج رقم (١) .

(ت ١٠٩٣هـ) و تلاه الشيخ إبراهيم الباجورى (١١٩٨—١٢٧٧هـ) ؛ و جاء ذلك مبينا مسطوراً فى تصريحاتهما ، و هذا نص عبارة الباجورى :

« و قال بعضهم : الأولى أن يقال لهذه القصيدة (برأة) لأن المؤلف برىء بها ، و التى حقها أن يقال لها (بردة) بانت سعاد التى هى قصيدة كعب بن زهير » (١) .

و هذا القول ذكره الباجورى مرة أخرى فى حواشيه على بانت سعاد (٢) و الظاهر أن هذا الاقتراح ، نشأ فى زمن المتأخرين فلا عبرة به إذ حل محل النكتة بعد الوقوع .

و سيجد المتأمل فى موارد الكلم أن (البرءة) المهموزة تقتصر فى الدلالة على أحد الجزئين فقط ، بينما (البردة) بالدال تكتنف الجزئين معاً ، و لها أشباه و نظائر فى الكتاب و السنة و الشعر العربى بقوله تعالى (فأذاقها الله لباس الجوع و الخوف) و قول رسول الله فيما حدثنا عن منامه و عرض ، و قوله تعالى فى الأعراف (٢٦) « يا بنى آدم قد أنزلنا عليكم لباسا يوارى سوءاتكم و ريشا و لباس التقوى ، ذلك خير (ج) ذلك من آيات الله لعلهم يذكرون » .

دخل عمر بن الخطاب و عليه قميص يجره . قالوا فما أولت ذلك يا رسول الله ؟ قال الدين (٣) ، و قال لبيد أو آخر من الصحابة :

الحمد لله إذ لم يأتنى أجلى حتى اكتسيت من الاسلام سربالا (٤)

(١) الباجورى ، الحاشية على متن البردة — ص ٣ .

(٢) الباجورى حواشيه على بانت سعاد (ط . سنة ١٣١٧هـ) ص ٥ .

(٣) راجع الجامع الصحيح للبخارى (ط . الهند) ص ٨ ، ٥٢١ .

(٤) انظر الاصابة (ترجمة لعبيد رضى الله عنه) ج ٣ ص ٣٠٧ رقم ٧٥٤٣ ولكن ورد البيت بنصه فى مقطوعة لقردة بن نفاثة السلولى رضى الله عنه*

و كذلك ورد فى شعر حميد بن ثور الهلالى :

فاما ترينى اليوم أمسكت بعد ما ترديته برد الشباب المحبر (١)
ولنا فيما ذكرنا و أشرنا إليه كفاية .

لا غرو أن عناية علماء الهند بقصيدة (بانت سعاد) لم تكن قليلة بالنسبة إلى إقبالهم فى الوقت نفسه على ميمية البوصيرى ، ولكنهم ، مهما أمكن لهم ، أعطوا كل ذى حق حقه فى ظروفهم الخاصة البعيدة عن مهد العروبة . ثم إن العرب أنفسهم لا يتخلصون من إيثارهم للشعر المحدث و المحدثين على المخضرم و المخضرمين فاذا كان ذلك كذلك ، فلا محالة تكون إساءة الظن بعلماء اللغة العربية بالهند ، محاولة غير مرضية ، كما لا يرتضى التطرق إلى شئ من المقارنة بين القصيدتين على النمط التالى (٢) :

« لا علاقة لها (يعنى بردة البوصيرى) بكلمة كعب بن زهير فى شئ ، فقد جاءت قصيدة كعب بالنظر إلى معناها ، و أساليبها حجازية النجار و نجدية الغرار ، ساذجة غير متكلفة وهى فى الوقت نفسه ، رقيقة شيقة تتجلى فيها الجلالة و الجزالة ، و لكن أهل الهند يعجبهم فقط ما ينم عن الوله و التوقان المفرط و يصعب لهم أن يتصوروا الجمال مع الجلال » .

على فرض أن يعطى الكاتب حقه من حرية الرأى ، لا يستساغ منه كائنا من كان ، أن يركب الدهماء فيتلاعب بمكانة البوصيرى ثم لا يدع كعبا رضى الله بمكانته السامقة ، و علاوة على ذلك يتخذ سخريا ما يراعيه المسلم الهندى من خالص

* راجع أيضاً الاصابة (ترجمة قردة بن نفاثة ج ٣ ص ٢٢٢ رقم ٧٠٩٥ و الاستيعاب (على هامش الاصابة) ج ٣ ص ٢٥٩ — ٢٦٠ .

(١) انظر المرزوقى ، كتاب الأزمنة و الأمكنة ج ٢ ص ٣٠٨ .

(٢) مجلة برهان (الأردوية) عدد مارس سنة ١٩٧٩ — ص ١٥٢ .

المودة للرسول عليه الصلاة و السلام ، فلا بد أن نلم على وجه الاختصار بهذه النواحى الثلاث فيما يلى :

١— قد بلغت قصيدة كعب الذروة القعساء بمزاياها ، فلا يكاد يشق غبارها كلام أى واحد من غير الصحابة ، فضلا عن المقارنة بينها و بين قصيدة محدثة ، وليس التنويه بمكانة كعب مما يحتاج إلى مثل هذا المجهود المؤدى إلى تحصيل الحاصل .

٢— أما قصيدة البوصيرى فهى طبعاً تمثل عن الدورة المتأخرة للمحدثين و تختلف اختلافاً بديهياً فى أساليبها من مميزات مخضرمى القرن الأول و الشعراء الفحول من أصحاب الرسول ، و من وجهة النظر هذه ، لئن وجدنا أسباب النقص فاشية بين المتأخرين من أصحاب المديح النبوى فلماذا نواخذ عليها البوصيرى وحده ، على أن ميمية البوصيرى ليست بأقل خطورة من الواقعية ، و لكن الشرط أن نلاحظ أهمية أسباب النظم على ما ذكرها مترجمو البوصيرى قاطبة حسب ما انحدرت إليهم الرواية عن البوصيرى نفسه ، و من حسن الصدفة أن هذا الكاتب المعاصر قد أقر ببعض أجزائها على الأقل .

إن شعراء الطبقات المحدثة ، يختلف شأنهم بالنظر إلى أساليب البلاغة و طلاوة البيان فان العوامل الحضارية بمقتضى التقدم و الرقى قد انجلت عن مقاييس متطورة توافق الظروف المحدثة ، و قصيدة البوصيرى التى يدور البحث حولها ، من حيث رشاقة اللفظ و التراكيب و براعة الأساليب و شتى نواحى الفصاحة و البلاغة ، تتميز برجحانها الخاص على كفة الميزان لمعرفة الجودة الفنية عند المحدثين ، و الميزة التى تتصف بها هذه الميمية لم يتجرأ للانكار عليها فيما انتهى إليه علمى القاصر أى واحد من صيارفة النقد الأدبى و قهارمة التبصر الفنى المتميزين بسلامة الذوق و براعة الانتقاد ، حتى إن أمير الشعراء أحمد بك شوقى تتبع أيضاً أسلوب البردة البوصيرية و نظم قصيدته الشهيرة البارعة (نهج البردة) و قصارى

القول أن اختيار بردة البوصيرى بوضعها على مقاييس النقد لكلام شعراء الجاهلية أو شعراء العصر النبوى لا يحكم عليه بالصواب و لكن الحق أن نضعها عند الاختبار على أصول النقد الأدبى بطرائف الشعراء المحدثين و روائعهم الفنية .

٣— أما القول بأن الهنود مولعون بظواهر الحب المتضاعف فقط ، فلا أدرى كيف تسنى لهذا الكاتب أن يتفوه به ، بعد أن ورد فى الكتاب العزيز (النبى أولى بالمؤمنين من أنفسهم) (١) الآية ، مع غيرها من الآيات البينات فى نفس هذا المعنى ، ثم جاء عن أبى هريرة و أنس رضى الله عنهما ، مرفوعاً ما نصه (لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده و ولده و الناس أجمعين) (٢) فهذه النصوص الواضحة المتظافرة كيف يعمل بها المسلم الهندى حسب وسعه ، على رأى هذا الكاتب ؟ أعاذنا الله من عثرات القلم و فلتات اللسان .

استدراك

يضاف إلى المقال « كعب بن زهير ، نسبه و شعره » (راجع البعث الاسلامى مج ٣٦ ع ٥ ص ٦٦) تواً على أثر رقم ٦ ما يلى :

٧— « روى الطبرى باسناده إلى الأوزاعى و على بن مجاهد عن عبد الأعلى بن ميمون عن أبيه أن معاوية (رضى الله عنه قال فى مرضه الذى مات فيه أن رسول الله ﷺ ، كسانى قميصا فرفعته ، وقلم أظفاره يوما فأخذت قلامته ، فجعلتها فى قارورة ، فاذا مت فألبسونى ذلك القميص و قطعوا تلك القلامة و اسحقوها و ذروها فى عينى و فى فى ، فعسى الله أن يرحمنى ببركتها (انظر تاريخ الأمم و الملوك (ط . مصر سنة ١٩٣٩) ج ٤ ص ٢٤١ (سنة ٦٠) .

(١) سورة الأحزاب — الآية — ٦ .

(٢) الجامع الصحيح للبخارى (ط . الهند) ص ٧ .

تشريع النفقة فى ضوء الكتاب و السنة

بقلم : فضيلة الشيخ القاضى مجاهد الاسلام القاسمى
مدير مجلة « بحث و نظر » بالأردية
تعريب : محمد رحمة الله المظفرفورى

طريقتان لأداء النفقة :

هناك طريقتان لأداء النفقة ، الأولى : التمكين ، و الثانية : التمليك ، و المراد من التمكين أن يعيش معه الشخص الذى تعود كفالته إليه ، و يشاركه فى جميع الحاجيات الأساسية من الطعام و السكن و الكسوة ، أما الزوجة فانما تعيش مع زوجها فى غالب الأحيان ، و كذلك الأولاد و الأبوان يتعايشون معاً ، إلا أن الأقارب الآخرين فانهم يستقلون فى شئون المعاش بوجه عام بيد أن بعض الناس يحدبون على بعض أقربائهم و يضمونهم إلى عائلتهم فيتكفلون بمعاشهم دون أن يساعدوهم بالمال و المرافق و الحاجيات بوجه مستقل ، و ذلك ما يسمى بالتمكين و الاباحة .

و المراد من التمليك هو تسليم المال والحاجيات إلى من يستحق النفقة ، فله الخيار بالتصرف فيها حسب هواه .

يقول العلامة ابن نجيم : « فالتمكين متعين فيما إذا كان له طعام كثير و هو صاحب مائدة ، فتمكن المرأة من تناول مقدار كفايتها فليس لها أن تطالبه بفرض النفقة ، و إن لم يكن بهذه الصفة ، فان رضيت أن تأكل معه فيها و نعمت ، و إن خاصمته فى فرض النفقة يفرض لها بالمعروف ، وهو التمليك ، وتصير ملكاً لها ، فلها التصرف فيها من بيع وهبة و صدقة و ادخار » (البحر الرائق شرح كنز الدقائق ١٧٤/٣ طبع المكتبة الرشيدية ، كوئته) .

و بالجملة أن المحكمة إذا أمنت أن المرأة تتمتع بحقوق نفقتها بالمعايشة مع الزوج وهى لا تطالب بالنفقة المستقلة لنفسها إلا عناداً و تمرداً لا تمنحها حقها ، إلا إذا ثبت أن الزوج مقصر فى أداء حقه نحوها ، فهنالك تتعرض المحكمة لتعيين نفقتها و فرضها على الزوج .

و قال فى منحة الخالق : « و الذى يدل كلامه عليه أنه إذا ظهر للقاضى تعنتها بأى طريق من الطرق لا يفرض » (منحة الخالق ١٧٤/٣) .

و من الملاحظ أن تلك النقود و الأمتعة التى يعطيها الزوج زوجه برضاه كنفقة لها و الأشياء التى تقررت نفقة بحكم القضاء ، تملكها المرأة .

يقول العلامة ابن نجيم : « فيفيد أنها تملك النفقة بفرض القاضى أو يدفع شىء بالرضا » (البحر الرائق) فالحاصل أن المفروضة أو المدفوعة إليها ملك لها ، فلها الاطعام منها و التصدق ، و كذلك لو يسلم الزوج إليها راتباً شهرياً أو أسبوعياً أو يومياً للنفقة أو عين لها القاضى مقداراً خاصاً ، فلها الخيار فى إنفاقها كلياً فى المدة المحددة أو إبقائها ، و النقود الزائدة التى ادخرتها بتحملها المشاق أو سد حاجاتها عن طريق آخر ، فهى ملك شخصى لها ، و ليس للزوج فيه شىء (يراجع للتفصيل نفس المصدر) و كذلك يتفرع عليه أن المرأة لو أسرفت فى نفقتها المعينة و استنفدتها قبل استيفاء المدة فليس لها أن تطالب مزيداً من النفقة للمدة الباقية .

ما يدخل فى عداد النفقة وما لا يدخل ؟ :

و لابد من معرفة نطاق النفقة و حدودها لفهم تشريع النفقة فى الاسلام و ما هى الحاجات التى لابد من سدها و رعايتها و إعداد المال و العدة لها ، و يمكن أن نفسر ما نسميه بالحاجيات الأساسية بالأنواع التالية .

١ــ الطعام ، ٢ــ الكسوة ، ٣ــ السكنى ، فاذا كان هناك بعض الحوائج الأخرى فستناولها بالذكر فى صفحات قادمة إنشاء الله

١— المطلبات الغذائية : و تشتمل الضرورات الغذائية ضمن النفقة ، من الخبز و الزو و الادام و الماء و ذلك على حسب العرف الموجود باختلاف الأزمنـــة و المناطق ، و الجاهز من الطعام يتضمن ذلك ، إلا أن الحبوب من الغلات لا تكفى وحدها ما لم يرافقها جميع الالتزامات الأخرى التى يحتاج إليها المرء فى إعداد الطعام، كأدوات المطبخ، أو النقود التى يتمكن بها من شراء حاجيات الطبخ، إلا أن تعيش المرأة فى بيئة تقوم بجميع أمور البيت وحدها وتخدم بنفسها مثلا إنها تقوم بأمور الطحن و الدق لأنها متعودة على أداء هذه الأمور بنفسها ، ولا يجوز لها مطالبة الأجرة على ذلك ، و ذلك لأن المرأة مسئولة عن الأعمال الداخلية فى الواقع و الرجل عن الأعمال الخارجية .

يقول العلامة الحصكفى رحمه الله : « و لو (امتنعت المرأة) من الطحن و الخبز (إن كانت ممن لا تخدم) أو كان بها علة (فعليه أن يأتيها بطعام مهيئ و إلا) بأن كانت ممن تخدم نفسها و تقدر على ذلك (لا) يجب عليه و لا يجوز لها أخذ الأجرة على ذلك لوجوبه عليها ديانة ، و لو شريفة ، لأنه عليه الصلاة و السلام قسم الأعمال بين على و فاطمة ، فجعل أعمال الخارج على على رضى الله عنه و الداخل على فاطمة رضى الله عنها مع أنها سيدة نساء العالمين » .

(رد المحتار على الدر المختار المجلد الثالث ص / ٥٧٩ طبع فى مطبعة « ايجوكيشنل » كراتشى ، باكستان) .

لكنها لا تجبر على هذه المسئولية الخلقية تشريعاً و قانوناً .

يقول العلامة الشامى : « و لكنها لا تجبر عليه إن أبت » (در المختار مع رد المحتار ٥٧٩/٣) و يلاحظ ذلك الأمر أن مدار الحكم على أن المرأة متعودة على هذه الأعمال بيدها أم لا ؟

و يقول العلامة المذكور : « و الذى يظهر اعتبار حالها فى الغنى و الفقر

لا فى الشرف و عدمه ، فان الشريفة الفقيرة تخدم نفسها ، و حاله عليه الصلاة و السلام و حال أهل بيته فى غاية من التقلل من الدنيا ، فلا يقاس عليه حال أهل التوسع » (نفس المصدر) .

وإن كانت المرأة فى حالة لا تستطيع أن تطبخ الطعام بنفسها و لا يطيق الزوج أن يجهز لها الطعام المطبوخ فعليه تدبير من يقوم بهذه المسئولية نحو الطبخ مع تهيئة المواد الغذائية (قوله : فعليه أن يأتيها بطعام مهيئ) أو يأتيها بمن يكفيها عمل الطبخ و الخبز) (نفس المصدر) .

فكما أن وسائل طبخ الطعام من التنور و الوقود تتضمن حاجة الغذاء الانسانى كذلك تشملها قدور الطبخ و المراجل و القصاع للأكل ، و الأوانى والكؤس لشرب الماء، وكذلك ما ينظف به مرافق المطبخ من الصابون، والسطل للماء و ما إلى ذلك مما يتفق و مستوى المعيشة ، و كذلك « الثلاجة » تعتبر من ضرورات الحياة فى بعض الظروف الخاصة .

و تدخل أشياء كثيرة مختلفة ضمن الحاجيات فى مختلف الأحوال والعصور نظراً إلى اختلاف المستويات مما يحتاج القاضى فى قضاء حكمه إلى اعتباره نظراً إلى النوعية الخاصة للخصومة و رعاية للأعراف ، أما الشأى و البن و القهوة و التنبول يعتبر من نوع الفواكه ، و لا يدخل فى النفقة الواجبة .

يقول العلامة ابن عابدين : (« تنبيه » قد علم مما ذكر أنه لا يلزمه لها القهوة و الدخان ، و إن تضررت بتركهما ، لأن ذلك إن كان من قبيل الدواء أومن قبيل التفكه فكل من الدواء والتفكه لا يلزمه علمت) (نفس المصدر).

و ما احتج به الشامى يبتنى على أن الدواء و المعالجة ليست من وظائف الزوج ولكن الأدوية أصبحت ضرورة فى العصر الراهن كما سيأتى فى الصفحات القادمة و عادة الشأى والتنبول التى تتعود عليها المرأة ، وقد تبلغ تلك العادة إلى حد لا يمكن مفارقتها فلا بد من التأمل فى أن التكفل بمثل هذه الأشياء هل

يتحملها الزوج أم لا فى الحدود الشرعية ؟ ، سيما إذا كانت قد تعودت بهذه الأشياء فى بيت زوجها .

الكسوة : إذا تأملنا فى أصول الشرع بصدد الكسوة و اللباس اطلعنا على عديد من خصائص اللباس الشرعى ، أحدها : اللباس حاجة إنسانية ، يقى جسد الانسان و يحميه من الحر و البرد ، يقول الله تعالى : « تقيكم الحر » (النحل : الآية ٨١) .

و قد نالت كسى مختلفة متنوعة رواجاً من حيث اختلاف المناطق و تفاوت الفصول و الأحوال الجغرافية و مدى قوة تحمل الانسان و نوعية أشغاله و مهنه لأجل صيانة الصحة الجسدية و وقايتها من مضار الطقس ، و الفصول و تتفاوت تلك الأنواع نظراً إلى ظروف المعيشة و الأحوال الاجتماعية و الاقتصادية لمختلف طبقات المجتمع ، و كذلك راجت ملابس خاصة رعاية للتفاوت الطبعى ، فملابس خاصة بالرجال و خاصة بالنساء و الأولاد .

ثانيها : غرض اللباس الأصيل هو ستر العورة ، و ذلك فى ضوء ما قررته الشريعة الاسلاميـــة السمحاء و بينت حدود عورة الرجل و المرأة ، فلا بد أن يكون ساتراً .

يقول القرآن : « لباساً يوارى سوآتكم و ريشاً » (الأعراف : ٢٦) و قال فى موضع آخر : « ولا يبدين زينتهن ، إلا ما ظهر منها » (النور : ٣١) .

و فى الآية إشارة واضحة إلى أن اللباس ذريعة للزينة ، و تحصل هذه الزينة عن طريق اللباس ، للرجال كما يليق بهم و للنساء كما يناسب لهن .

و تجب مراعاة أمور عديدة فى اللباس من المنظور الاسلامى .

الأول : أن لا يكون شعاراً للنخوة و الكبر و الزهو ، لورود النهى عنه عن ﷺ ، فقد روى سالم عن أبيه عن النبى ﷺ قال : الاسبال فى الازار و القميص و العمامة ، من جرمنها شيئاً خيلاء لم ينظر الله إليه يوم القيامة » (رواه أبو داؤد

و النسائى ، مشكاة المصابيح ٢/٣٧٤ طبع المكتبة الرشيدية بدلهى) و كذلك ينبغى أن لا يكون اللباس بحيث يشتبه الرجل بالمرأة ، و معناه أن لا يكسو الرجل لباساً تختص المرأة باستعماله ، و المرأة لا تستعمل الثوب الذى خص بالرجال .

اللباس يكون شعاراً لكل أمة وملة ، و البعض يكون شعاراً لطبقة خاصة و جماعة خاصة من أجل علاقة دينية أو تراث حضارى ، ولا يجوز لمسلم أن يتشبه بغير المسلمين و يختار شعارهم ، قال الرسول ﷺ : « من تشبه بقوم فهو منهم » (رواه أحمد و أبو داؤد ، مشكاة المصابيح ٢/٣٧٤) .

وتجب مراعاة هذا الأمر فى اللباس ، و قد تحقق فى ضوء هذا البحث أن النفقة كذلك تحتوى على الكسوة ، حتى يلزم تجهيز الكسوة بقدر الضرورة مع الحاجات الغذائية لمن يجب نفقته ، و اللباس لا بد أن يكون متروجاً و معروفاً من حيث البلدة و مناخها ، و الذى يحمى الجسم الانسانى من الحر و البرد و يصونه من جميع المضار المنتجة من اختلاف الأحوال الموسمية من الصيف و الشتاء ، و يكون ساتراً وفق ما يتقاضاه الشرع .

و كذلك ينبغى أن تلاحظ فيه زنية المرأة كما تليق بها حسب سعة الزوج ، وليس لها أن تطالب لباساً لا ينسجم وطبيعة الشريعة الاسلامية فى كونه ساتراً ، و كذلك ليس له أن يجبر عليها بلبس ما حظر عليها من وجهة نظر الاسلام ، و الأمر فى ذلك يرجع إلى أعراف كل إقليم و منطقة و طرقها التى تتفاوت ، حتى يكون بعض اللباس قد تروج فى بقعة من الأرض لا فى غيرها ، و أحياناً يكون لباس لا يكتسيه إلا غير المسلمين فى صقع من الأرض و يكون هو متعرفاً لديهم ، و فى منطقة أخرى يستخدمه كل من المسلمين و غيرهم ، ولا يكون هوية لغير المسلمين ، لذا فانه يتغير حكم الكسوة من أجل التفاوت الحضارى و المدنى و اختلاف المناطق و البقاع .

و أما الملحفة و البطانية و كساء الصوف و الوبر و فراش الشتاء مما يحتاج إليه المرء فكل ذلك مما يشمله اللباس .

« للحديث صلة »

نظام القضاء الشرعى فى الدول غير الاسلامية

بقلم : فضيلة الأستاذ عتيق أحمد القاسمى
أستاذ الفقه و الحديث فى دار العلوم لندوة العلماء لكناؤ
تعريب : الأخ محمد فهيم أختر الندوى

الواجب الدينى على المسلمين ، فى أى بلاد سكنوها ، تحكيم الله و رسوله فيما شجر بينهم ، و إقامة نظام للقضاء الشرعى ، لكى يبتوا فى خصوماتهم و شئونهم الاجتماعية ، و ذاك يستلزم وجود قاض شرعى فى كل بلد أو قرية يعيش فيها المسلمون ، يكون ذا اطلاع واسع و نظرة عميقة على الشريعة الاسلامية ، مع اتصافه بالتقوى و الورع ، و قد شدد القرآن الكريم على الذين يتحاكمون إلى المحاكم غير الاسلامية .

قال الله — تبارك و تعالى — :

« ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك ، يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت ، و قد أمروا أن يكفروا به ، و يريد الشيطان أن يضلهم ضلالا بعيداً » (١) .

و أكد كتاب الله — جل وعلا — أن مقتضى إيمان الفرد بالله أن يرفع قضاياه إلى محكمة إسلامية ولا يجد فى نفسه حرجاً مما يقضى عن طريقها ، قال تعالى :

« فلا و ربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجاً مما قضيت و يسلموا تسليماً » (٢) .

(١) سورة النساء : الآية : ٦٠ .
(٢) سورة النساء : الآية : ٦٥ .

و فى عديد من آيات القرآن الكريم أمر النبى — ﷺ — أن يقضى وفق القانون الالهى ، و عد من لا يحكم بما أنزل الله — تعالى — من الفاسقين ، الكافرين ، و الظالمين (١) .

و من هنا أجمع الفقهاء على أن نصب القاضى فرض ، يقول العلامة علاؤ الدين الكاسانى (٥٨٧ هجرية) :

« نصب القاضى فرض ، لأنه ينصب لاقامة أمر مفروض ، وهو القضاء ، قال الله — تعالى — : يا داؤد ! « إنا جعلناك خليفة فى الأرض فاحكم بين الناس بالحق » ، و قال — تبارك و تعالى — لنبينا المكرم — عليه أفضل الصلاة و السلام — : « فاحكم بينهم بما أنزل الله » . . . فكان نصب القاضى لاقامة الفرض ، فكان فرضاً ضرورة » (٢) .

و يقول شمس الأئمة السرخسى (٤٩٠ هجرية) :

« اعلم أن القضاء بالحق من أقوى الفرائض بعد الايمان بالله وهو أشرف العبادات » (٣) .

و لكن إذا كان المسلمون فى بلاد يحكمها غير المسلمين ، و المسلمون يعيشون تحت سلطتهم ، فكيف يقيمون هذه الفريضة المهمة فيها ، و من الذى تكون له الولاية فى نصب القاضى ، نتناول هذا البحث فى الصفحات الآتية :

ما حقيقة القضاء و ما هى دائرة عمله ؟ :

قال فى بدائع الصنائع : « القضاء هو الحكم بين الناس بالحق و الحكم بما أنزل الله - عز و جل - » (٤) .

(١) سورة النساء : الآية : ٦٥ .
(٢) بدائع الصنائع فى ترتيب الشرائع ، ج : ٧ ص : ٢ .
(٣) كتاب المبسوط ج : ١٦ ص : ٥٩ .
(٤) بدائع الصنائع ، ج : ٧ ص : ٢ .

جاء فى الفتاوى الهندية : « و القضاء الشرعى قول ملزم يصدر عن ولاية عامة » (١) .

قال الفقيه المالكى ابن فرحون الأندلسى (٧٩٩هـ) و هو يلقى الضوء على حقيقة القضاء :

قال ابن راشد : حقيقة القضاء الاخبار عن حكم شرعى على سبيل الالزام

و فى المدخل لابن طلحة الأندلسى : القضاء معناه الدخول بين الخالق و الخلق ليؤدى فيهم أوامره وأحكامه بواسطة الكتاب والسنة ، و قال القرافى : حقيقة الحكم إنشاء إطلاق أو إلزام ، فالالزام كما إذا حكم بلزوم الصداق ذو النفقة أو الشفعة و نحو ذلك ، فالحكم بالالزام هو الحكم ، و أما الالزام الحسى من الترسيم و الحبس فليس بحكم ، لأن الحاكم قد يعجز عن ذلك ، و قد يكون الحكم أيضاً بعدم الالزام » (٢) .

ثم نقل ابن فرحون بعد عدة صفحات قول الامام القرافى : « أما ولاية القضاء ، فقال القرافى : هذه الولاية متناولة للحكم ، لا يندرج فيها غيره . . . . بل الحاكم من حيث هو حاكم ليس له إلا الانشاء ، أما قوة التنفيذ فأمر زائد على كونه حاكماً ، فقد يفوض إليه التنفيذ ، و قد لا يندرج فى ولاية » (٣) .

يقول العلامة ابن خلدون و هو يلقى الضوء على العمل الأساسى للقضاء وحقيقته : « إن القاضى إنما كان له فى عصر الخلفاء الفصل بين الخصوم فقط ، ثم دفع لهم بعد ذلك أمور أخرى على التدريج بحسب اشتغال الخلفاء و الملوك بالسياسة الكبرى ، و استقر منصب القضاء آخر الأمر على أنه يجمع مع الفصل

(١) الفتاوى الهندية ، ج : ٣ ص : ٣٠٩ .
(٢) تبصرة الحكام لابن فرحون المالكى ، ج : ١ ص : ٨ .
(٣) نفس المصدر . ص : ١٢ .

بين الخصوم استيفاء لبعض الحقوق العامة للمسلمين بالنظر فى أمور المحجور عليهم من المجانين و المفلسين و أهل السفه و فى وصايا المسلمين و أوقافهم ، وصارت هذه كلها من تعلقات وظيفته و توابع ولايته » (١) .

و على موضوع خيار القاضى و دائرة عمله قال العلامة ابن القيم كلاماً قيما متزناً : « إعلم أن عموم الولايات و خصوصها وما يستفيده المتولى بالولاية يتلقى من الألفاظ و الأحوال و العرف و ليس لذلك حد فى الشرع ، فقد يدخل فى ولاية القضاء فى بعض الأمكنة و الأزمنة ما يدخل فى ولاية الحرب و قد تكون فى بعض الأمكنة و الأزمنة قاصرة على الأحكام الشرعية فقط ، فيستفاد من ولاية القضاء فى كل قطر ما جرت به العادة واقتضاه العرف » (٢) .

و قد اتضح مما تقدم أن القضاء هو الفصل فى الخصومات وفق القانون الالهى - و بتعبير آخر - « إخبار حكم الشرع فى القضايا إلزامياً » ، و المراد من « الالزام » ليس إلزاماً حسياً ، بل إلزاماً معنوياً ، و هو أن قضاء القاضى يجب العمل به على الخصمين ولا يجوز لهما العدول عنه ، بخلاف فتوى المفتى ، فانه لا يكون ملزماً ، و يجوز للمستفتى بعد ما حصل على فتوى من أحد المفتين أن يستفتى من مفت آخر ويعمل به ، ولكى نفهم مكانة القضاء الالزامية يحسن أن نطالع قضية التحكيم فى الفقه الاسلامى ، وهى أن الخصمين إذا اختارا حكماً بينهما وفوضا الحكم إليه ، فيكون قضاء هذا الحكم ملزماً لهما كما ذكر الفقهاء عن ذلك فى كتبهم ، وليس معنى الالزام هنا أن تكون لدى ذلك الحكم قوة التنفيذ والالزام .

فى أكثر فترات التاريخ كانت قوة التنفيذ حاصلة للقضاة و لكن ليس هذا شرطاً لازماً للقضاء حتى لا ينعقد بدون قوة التنفيذ ، و كذلك كانت أمور

(١) مقدمة ابن خلدون ، ج : ٢ ص : ٦٣٠ ، دار نهضة مصر القاهرة .
(٢) تبصرة الحكام ، ج : ١ ص : ١٢ .

أخرى ماعدا الفصل بين الخصوم متعلقة بالقضاء فى مختلف أدوار التاريخ و كان القضاة يعالجونها و لكن لم تكن تلك الأمور بحيث إنها جزء للقضاء أو شرط له ، و ليست قوة التنفيذ — فى رأيى — للقضاء إلا مثل تلك الأمور ، كما صرح بذلك الامام القرافى .

و قد تكلم الفقيه علاء الدين على بن خليل الطرابلسى (٨٤٤ هجرية) على حقيقة القضاء مثل كلام ابن فرحون المالكى السابق ذكره من كتاب « تبصرة الحكام » (١) .

كيف ينعقد القضاء :

من الذى يتولى نصب القاضى ؟ إذا كان أمير فى بلاد فله ولاية عقد القضاء أو لمن منحه الأمير هذا الحق ، أما إذا انعدم الأمير فأهل الحل و العقد يستحقون عقد القضاء مثل المناصب الدينية الأخرى ، لأن مسئولية جميع الأمور الدينية تعود على عامة المسلمين فى صورة فقدان الامام ، و أهل الحل و العقد ينوبون عن عامة المسلمين ، و هذا أمر صرح به الفقهاء و المتكلون ، ففى كتاب « المواقف » نقل المصنف مايعترض به على الشيعة أن الأمور الجزئية مثل القضاء لا تنعقد بالبيعة و اختيار أهل الحل و العقد فكيف تنعقد الامامة العظمى لهم، ثم رد على الاعتراض ، و هذا نصه :

« الثالث أن القضاء أمر جزئى ولا ينعقد بالبيعة فكيف الامامة العظمى؟ قلنا : لا نسلم عدم انعقاد القضاء بالبيعة للخلاف فيه ، و إن سلم فذلك عند وجود الامام لامكان الرجوع إليه فى هذا المهم ، و أما عند عدمه فلابد من القول بانعقاده بالبيعة تحصيلا للصالح المنوطة به ودرءاً للفاسد المتوقعة دونه » (٢).

(١) راجع معين الحكام ، ص : ٧ - ٨ .

(٢) المواقف فى علم الكلام للقاضى عبد الرحمن بن أحمد الايجى ، ص ٣٩٩ ، عالم الكتب بيروت .

ومثل هذا السؤال و الجواب عليه، نقل فى كتاب « المقاصد » و شروحه و هو كتاب مشهور فى علم الكلام :

« الثانى أن أهل البيعة لا يقدرون على تولية مثل القضاء و الاحتساب و لا على التصرف فى فرد من آحاد الأمة فكيف يقدرون على تولية الرئاسة الكبرى و على إقدار الغير على التصرف فى أمر الدين و الدنيا لكافة الأمة ، ورد بمنع الصغرى ، فان التحكيم جائز عندنا و الشاهد يجعل القاضى قادراً على التصرف فى الغير ولو سلم فذلك لوجود من إليه التولية وهو الامام، ولا كذلك إذا مات ولا إمام غيره » (١) .

و إن شراح الكتابين « المواقف » و « المقاصد » ، و هم ينتسبون إلى مذاهب فقهية مختلفة أيدوا كلهم ذلك الرأى ، و لم يذكر أحد منهم اختلافه .

و قد يظهر مما سقناه من كتاب « المواقف » أن بعض الفقهاء و المجتهدين يجوزون نصب القاضى من جانب أهل الحل و العقد فى وجود الامام فى ظروف خاصة ، و يتأيد هذا الرأى من قول الفقيه المالكى برهان الدين إبراهيم بن محمد بن فرحون ، و هو كما يلى :

« قال المازرى فى شرح التلقين : القضاء ينعقد بأحد وجهين ، أحدهما عقد أمير المؤمنين أو أحد أمرائه الذين جعل لهم العقد فى مثل هذا ، و الثانى عقد ذوى الرأى و أهل العلم و المعرفة و العدالة لرجل منهم كملت فيه شروط القضاء و هذا حيث لا يمكنهم مطالبة الامام فى ذلك و لا أن يستدعوا منه ولايته و يكون عقدهم له نيابة عن الامام الأعظم أو نيابة عن من جعل الامام له ذلك للضرورة الداعية إلى ذلك » .

« يتبع »

(١) شرح المقاصد للعلامة أسعد الدين عمر التفتازانى ، ج - ٢ ص / ٢٨١ .

باكثير فى ملحمة عمر

— الفصل الثانى —

السيدة سامية وفاء بنت عمر بهاء الأميرى

أ — الأسس التاريخية للملحمة :

بعد تطوافنا السريع بملحمـــة « عمر » ، تتحرك فى نفوسنا تساؤلات و استفسارات : أن موضوعها هو عمر بن الخطاب ، و هى تحكى لنـــا حقبة خطيرة فى حياة المسلمين ، ترى هل كل ما ورد فيها صورة طبق الأصل عن حقائق التاريخ ؟ أم أن هناك حوادث تاريخية ثابتة ، و حوادث تاريخية ممزوجة بخيال الكاتب ؟ .

إن من واجبنا للجواب عن هذه التساؤلات أن نثبت الأسس التاريخية للملحمة و ليس هذا بالأمر العسير عندما يعمد المرء إلى تحقيقه ، لاسيما بعد أن رسمنا صورة شاملة لهيكل الملحمة ، و أن تاريخنا يحفظ لنا بين دفتيه حياة عمر ابن الخطاب فى مصادر عديدة . .

قبل أن أتطرق إلى شرح مفصل لدقائق هذه الأسس ، أود أن أقول بأنه من خلال دراستنا الدقيقة للملحمة ، يتجلى لنا بوضوح أن على أحمد باكثير يرمى إلى أهداف متعددة من وراء ملحمته هذه ، مما دفعه إلى الالتزام بأحداث التاريخ الاسلامى خاصة ، و ترك المجال واسعاً لخياله لينسج ما يشاء له أن ينسج فى المواقف الوجدانية ، و الوقائع المختلفة التى تقتضيها طبيعة الملحمة ، و التى يدور جلها حول شخصيات فارسية أو رومية .

إن أول ما يطالعنا فى « ملحمة عمر » صدقه الشديد و أمانته فى نقل أحداث التاريخ الاسلامى ، و إنها لكثيرة لا تحصى فى هذه الملحمة الضخمة

المتسعة الزمان و المكان ولو أننا حاولنا سرد وقائعها و أسانيدها فى كتب التاريخ الكثيرة المتعددة ، لكتبنا كتباً و مجلدات . . لكنى سأقتصر على تقديم نماذج معدودة على سبيل المثال ، يظهر فيها التطابق الكامل بين ما جاء فى الملحمة ، وما حفظته لنا الصحاح من كتب التاريخ و الحديث .

فى المشهد الثانى من مقدمة الجزء الأول حوار دار بين أبى بكر الصديق و عبد الرحمن بن عوف ورهط من كرام الصحابة جاء فيه :

أبو بكـــر : ماذا ترى يا عبد الرحمن فى عمر ؟

ابن عوف : ما تسألنى عن أمر إلا و أنت أعلم به منى .

أبو بكـــر : و إن . ابن عوف : هو و الله أفضل من رأيك فيه .

أبو بكـــر : و أنت يا عثمان ، أخبرنى عن عمر بن الخطاب .

عثمان : أنت أخبرنا به يا أبا بكر .

أبو بكر : على ذلك يا أبا عبد الله ، إنى أريد أن أسمع رأيك .

عثمان : اللهم على إن سريرته خير من علانيته ، و إنه ليس فينا مثله .

و بعد أن سأل أسيد بن حضير و على بن أبى طالب يقول :

أبو بكر : فما بال أقوام يقولون لى : أما تخاف الله فى تولية عمر على المسلمين ؟

طلحـــة : إن أبا بكر يعنينى أنا و من ورائى ، و الله يا أبا بكر ما صدقنا الله إن استشرتنا فأشرنا عليك بغير ما نعتقد ، إنا لا نعـــلم عن عمر إلا خيراً ، و لعله أن يكون خيراً من كل ثناء قيل فيه اليوم ، و لكن فيه غلظه يخشى منها على المسلمين .

أبو بكر : بل علتم إنه خيركم فى نفسى ، فكلكم ورم أنفـــه من ذلك يريد أن يكون الأمر له دونه .

طلحـة : . . . . ماذا أنت قائل لربك إذا سألك عن استخلافك عمر علينا ، و قد رأيت ما يلقى الناس منه و أنت معه ، فكيف به إذا خلا بهم بعد لقائك ربك ؟

أبو بكر : (غاضباً) أجلسونى ، أجلسونى . . أبالله تخوفوننى ؟ خاب من تزود من أمركم بظلم ، أقول : اللهم استخلفت على أهلك خير أهلك (يلتفت إلى طلحة) أبلغ عنى من وراءك ما قلت لك . . .

ثم يضطجع و يملى على عثمان بن عفان :

أبو بكر : أكتب يا عثمان . . . بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا ما عهد أبو بكر ابن أبى قحافة فى آخر عهده بالدنيا خارجاً منها ، و عند أول عهده بالآخرة داخلا فيها ، حيث يؤمن الكافر و يوقن الفاجر و يصدق الكاذب ، إنى استخلفت عليكم بعدى (تلحقه غشية) .

عثمان : إنى استخلفت عليكم بعدى . . . أمل يأبا بكر . . وى . . إنه ذهب به ، لا حول ولا قوة إلا بالله . . . . (يخرج) .

أبو بكر : (يفيق من غشيته فيجلس بقوة كالمذعور) أين عثمان بن عفان؟ أين خرج ؟ ادعوا إلى عثمان ؟ .

عثمان : (صوته من فناء البيت) ها أنذا يا خليفة رسول الله .

أبو بكر : ادخل يا عثمان ، ماذا فعل كتاب العهد ؟

عثمان : لا ترع يا أبا بكر ، فانى أكملته من عندى .

أبو بكر : كتبت اسم عمر بن الخطاب ؟

عثمان : نعم . أبو بكر : فاقرأ على ما كتبت .

عثمان : إنى استخلفت عليكم بعدى عمر بن الخطاب ، فاسمعوا له و أطيعوا ، و إنى لم آل الله و رسوله و دينه و نفسى و إياكم خيراً فان عدل

فذلك ظنى به و علمى فيه ، و إن بدل فلكل امرىء ما اكتسب من الاثم ، و الخير أردت ولا أعلم الغيب « وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون » و السلام عليكم و رحمة الله . . و يأمر بختمه فيختم ثم يقول للمسلمين الذين يخاطبهم من الكوة :

أبو بكر : أيها الناس إنى راع فاقنوا : اللهم إنه قد حضرنى من أمرك ما حضر فاخلفنى فيهم فهم عبادك ، نواصيهم بيدك ، وأصلح لهم أميرهم واجعله من خلفائك الراشدين . .

هذه فقرة حرفية منقولة من الملحمة ، و هذا حديث : « عن الواقدى عن أشياخه : إن أبا بكر لما استعد به دعا عبد الرحمن بن عوف ، فقال : أخبرنى عن عمر بن الخطاب ، فقال : ما سألتنى عن أمر إلا وأنت أعلم به منى ، فقال أبو بكر : وإن ، فقال عبد الرحمن : هو والله أفضل من رأيك فيه ، ثم دعا عثمان بن عفان ، فقال : أخبرنى عن عمر بن الخطاب فقال أنت أخبرنا به ، فقال : على ذلك يا أبا عبد الله ، فقال عثمان : اللهم علمى به إن سريرته خير من علانيته ، و إنه ليس فينا مثله ، فقال أبو بكر : يرحمك الله ، و الله لو تركته ما عدتك ، وشاور بعده سعيد بن زيد وأسيد بن الحضير وغيرهما من المهاجرين و الأنصار و سمع بعض أصحاب النبى ﷺ فدخلوا على أبى بكر فقال له قائل منهم : ما أنت قائل لربك إذا سألك عن استخلافك عمر علينا و قد ترى غلظته ، فقال أبو بكر : اجلسونى . . أبالله تخوفونى ، خاب من تزود من أمركم بظلم أقول : اللهم استخلفت عليهم خير أهلك ، أبلغ عنى ما قلت من وراءك ، ثم اضطجع و دعا عثمان بن عفان فقال : اكتب « بسم الله الرحمن الرحيم » هذا ما عهد أبو بكر بن أبى قحافة فى آخر عهده بالدنيا خارجا منها ، و عند أول عهده بالآخرة داخلا فيها ، حيث يؤمن الكافر و يوقن الفاجر و يصدق الكاذب ، إنى استخلفت عليكم بعدى عمر بن الخطاب ، فاسمعوا له

و أطيعوا ، و إنى لم آل الله و رسوله و دينه و نفسى و إياكم إلا خيراً ، فان عدل فذلك ظنى به ، و علمى منه ، و إن بدل فلكل امرئ ما اكتسب ، و الخير أردت ، ولا أعلم الغيب ، « وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون » و السلام عليكم و رحمة الله و بركاته ، ثم أمر بالكتاب فختمه و خرج به مختوما فقال عثمان للناس : أ تبايعون لمن فى هذا الكتاب ؟ قالوا : نعم ، فبايعوه ، ثم دعا أبو بكر عمر خالياً فأوصاه ثم خرج ، فرفع أبو بكر يديه وقال اللهم إنى لم أرد بذلك إلا صلاحهم ، وأحرصهم على ما أرشدهم ، و قد حضرنى من أمرك ما حضر ، فاخلفنى فيهم فهم عبادك » (١) .

و بالمقارنة بين هذا النص و ما ورد الملحمة نجد أن باكثير يكاد ينقل الكلمات بحروفها ، و إذا وجدنا أن هناك بعض الزيادات ، سواء فى حديث الواقدى ، أو فى الفقرة التى أوردها باكثير ، فان تعليل ذلك هو أن المؤلف يجمع فى كلامه أكثر من رواية ، وإنما نحن أوردنا رواية واحدة كبرهان على أمانته فى النقل .

و فى المشهد التاسع من الجزء الأخير بعد أن طعن (عمر) رضوان الله عليه يقول لابنه عبد الله :

عمر : إذا أنا مت فاهملونى على سريرى ثم قف بى على باب عائشة أم المؤمنين فقل : يستأذن عمر بن الخطاب فان أذنت لى فادخلنى و إن لم تأذن فادفنى فى مقابر المسلمين .

عبد الله : يا أمير المؤمنين إنى قد استأذنتها اليوم فأذنت .

عمر : أجل و لكنى أخشى أن تكون أذنت و أنا حى حياء منى لسلطانى . .

و هذا حديث فى المعنى نفسه ، عن محمد بن سعد أن مالك بن أنس رحمه

(١) أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزى : سيرة عمر بن الخطاب أول حاكم ديمقراطى فى الاسلام ص : ٣٧ ، ٣٨ .

الله قال : استأذن عمر رضوان الله عليه عائشة رضوان الله عليها فى حياته فأذنت له أن يدفن فى بيتها ، فلما حضرته الوفاة قال : إذا مت فاستأذنوها فان أذنت ، وإلا فدعوها فانى أخشى أن تكون أذنت لى لسلطانى ، فلما مات أذنت لهم (١) .

أما فى المشهد الثانى من الجزء نفسه ، فنطلع فى حوار بين عمر و يزيد ابن أخت النمر . على عزمه رضى الله عنه على تسوية عطاء الناس جميعاً ، وتفكيره فى حل يستطيع به استنارة المسلمين رغم انتشارهم فى الآفاق :

يزيد : ماذا سنح لك يا أمير المؤمنين .

عمر : أن أطوف فى الأمصار فاقضى فى كل مصر منها شهرين لعل للناس حوائج لا تصل إلى ، و لا ستفتيهم فيمن يجبون أن يخلفنى من صحابة رسول الله الذين توفى و هو عنهم راض ، فما رأيك ؟

يزيد : نعم الرأى هذا يا أمير المؤمنين بيد أنك ستقضى فى طوافك هذا حولا كاملا .

عمر : أجل و لنعم الحول هو إن شاء الله ،

و يقول الحسن رحمه الله فى هذا : « قال عمر بن الخطاب رضون الله عليه : لئن عشت إن شاء الله لأسيرن فى الرعية حولا ، فانى أعلم أن للناس حوائج تقطع عنى ، أما هم فلا يصلون إلى ، و أما عمالهم فلا يرفعونها إلى ، فأسير إلى الشام ، فأقيم بها شهرين ثم أسير إلى مصر فأقيم بها شهرين ، ثم أسير إلى البصرة فأقيم بها شهرين » (٢) .

فكأننا بباكثير يجمع روايات عديدة من الأحاديث المروية عن أعمال عمر ابن الخطاب و أفعاله و صفاته و يقسمها على أشخاص فى شكل حوار ، يجذب القارئ لها ، و يشوقه إلى معرفتها و الاستزادة منها ، فتحصل بذلك الفائدة المرجوة ، و هو لا يعدو قط حقائق التاريخ الثابتة . .

(١) المصدر السابق نفسه ص : ١٥٢ . (٢) المرجع السابق نفسه ص ٨٥ .

ب : ما أضافه المؤلف للملحمة من أحداث غير تاريخية :

لم يطلق باكثير العنان لخياله ليلعب دوره المطلوب فى الأحداث الاسلامية و تعليل ذلك بالغاية التى كتب باكثير ملحمته من أجل تحقيقها . . . فهو لا يكتفى برواية واحدة فى الحادث الواحد ، إنما نراه يبذل كل طاقته ليجمع لنا أكبر عدد ممكن من المعلومات فيرجع بنا ما يقرب من أربعة عشر قرنا ، لنحياها و كأننا أولادها ، فلا نكون غرباء عنها و حتى لا يترك للملل طريقا إلى نفوسنا فانه يدخل لنا فى ثنايا ذلك التاريخ الخالد حوادث تلائم أذواق العصر الذى نعيش فيـــه . . . بل تد تلائم كل زمان تتمثل فيه الانسانية الحق . . .

لقد مزج لنا باكثير حوادثه بقصص عاطفية تقوم على الحب ، كأسمى ما يكون الحب و تستمر على الوفاء و الاخلاص كأقوى ما يكون الوفاء و الاخلاص .

إن القصة الأولى التى نراها منذ بداية رحلتنا مع باكثير فى ملحمته ، هى قصة شيرين ، الامرأة الفارسية ، زوجة المعنى بن حارثة . . . لقد اختار لها دوراً بطولياً خطيراً و جعل حوادثها تسير فى ثنايا الملحمة إلى النهاية ، و صور لنا فيها عواطف شتى و ألواناً من الصراع مختلفة . . . و الذى يهمنا هنا أن نعرف حقيقة هذه القصة تاريخيا فهل جرت حوادثها فعلا ؟ وهل فى التاريخ ما يثبت وقوعها ؟

إذا ما سرنا منقبين فى كتب المؤرخين عن شخصية شيرين ، فاننا نرى أن لها وجوداً فى التاريخ ، كانسانة بارزة ، فنجد مثلا الكاتبة القصصية لبيبة هاشم ، تكتب قصة عنوانها « شيرين » تحكى لنا فيها عن حياتها ، ولكنها لا تورد مطلقاً زواجها من المعنى ولا ذلك الدور الخطير الذى لعبته فى الملحمة هنا . و إنما تقص لنا أنها تزوجت من أحد أمراء الفرس . . .

فاستعار باكثير هذه الشخصية التى كانت مادة لموضوعات بعض الكتاب ، و نسج حولها من بنات أفكاره قصته الطويلة ، التى حاك خيوطها منذ بداية الملحمة إلى نهايتها بشكل دقيق متقن ، حتى إننا لا نظن بحال أنها خيالية ، و لعل السبب

فى ذلك أنه عرضها لنا بشكل يتلاءم و عواطفنا ، و أنه أنهاها لنا نهاية إيجابية ، حيث جمع بين الزوجين المتحابين ، رغم كل ما لاقيا من عذاب و متاعب . . .

و فى مكان آخر نرى نظير ذلك إذ يستعير شخصية ارمانوسة ، التى يذكرها جرجى زيدان فى إحـــدى رواياته التى يسلسل فيها حوادث التاريخ الاسلامى ، تحت عنوان « أرمانوسة المصرية » . . . غير أن رواية جرجى زيدان تختلف بأحداثها عن رواية باكثير . . . فجرجى زيدان يورد لنا أن أرمانوسة أحبت أميراً رومياً و تزوجته . . . فى حين يقدمها لنا باكثير فى جو إسلامى يعبق منه أريج الطبع العربى و الروح الاسلامية . . .

فأرمانوسة رغم أنها غير مسلمة إلا أنها ترأف بدومنتيا نوس المتيم بها ، ولا تريد إعلان زواجها بسواه وهو موجود فى مصر ، فتلجأ إلى إخباره أنها وهبت نفسها للدين ، بعد إسلام خطيبها و حبيبها شطا ، ليعجل بسفره إلى روما . . . و فى الوقت نفسه ترسل بطلب يودى العربى المسلم ، لتفاتحه بموافقتها على الزواج منه بعد أن فسخت خطبتها . . . و إنها رغم زواجها تتألم لمعاملتها الجافيـــة التى عاملت بها شطا قبل سفره إلى ساحة القتال ، فتبكى و تتحسر عندما يصل إليها نبأ استشهاده . .

لعل هاتين القصتين هما العنصران الأساسيان لما أضافه باكثير إلى الملحمة من حوادث خياليـــة ، جاء بها ليلطف جو المعارك و الحروب ، التى قد تكون شديدة الوطأة على نفس القارىء ، فخللها بهذه الحوادث التى تجذبه لمعرفة خاتمتها ، و بذلك استطاع أن يعمم الفائدة ، و ينشر هذه الصفحات المشرقـــة من تاريخ المسلمين ، لأبناء عصره و أمته و دينه . .

و هناك من نسج خيال باكثير حوادث و مواقف أخرى ليست بحجم المثالين اللذين أوردناهما ، وهى كذلك لا تمس جوهر الحوادث الاسلامية ، و إنما تدور حولها فقط .

« يتبع »

أحمد حسن الزيات : الكاتب الفنان

(١٨٨٥ — ١٩٦٨م)

بقلم : البروفيسور محمد راشد الندوى
رئيس قسم اللغة العربية ، جامعة عليكراه الاسلامية

ولد أحمد حسن الزيات فى بلدة من أعمال محافظة الدقهلية بمصر ، و تلقى دراسته الابتدائية فى كتاب بلدته كعامة أولاد المصريين ، ثم سافر إلى القاهرة و التحق بجامعة الأزهر ، و كان الشباب النجيب المجتهد أحمد حسن الزيات يدرس فى أزهر دون أن يطمئن كل الاطمئنان بالمنهج القديم ، فكان يرى أن الأزهر فى واد و الشعب المصرى فى واد ، لأن الحياة الجديدة تتطلب تغيير فى كل شعبة من شعب الحياة ، و المدارس الأجنبية فتحت فى كل بلدة ومدينة من مدن مصر ، و الطلاب من الطبقة العالية الثرية يقصدونها لمعارف العصرية الجديدة ، و يكونون فيما بعد أساتذة و موظفين فى المدارس الحكومية والدوائر الرسمية ، و يرسلون فى بعثات إلى الغرب ليتلقوا من المعارف العصرية العالية و الطب الجديد و الهندسة بمختلف أنواعها ، هنا أحس الزيات أن الدراسة التى يتلقاها هو لا تفى بالحاجات ، و لا تروى غليله ، ولا تبلغه المنزل العالى الذى يتشوف إليه ، فاتجه إلى دراسة اللغة الفرنسية ، و تلقاها بالدروس الخاصة ، وتمكن بعد سنوات قليلة أن يتقنها قراءة وكتابة ، حتى تمكن من الالتحاق إلى مدرسة الحقوق الفرنسية بالقاهرة ، وكانت هى بداية عهد جديد فى حياته العلمية و الأدبية ، فخرج من منهج الأزهر القديم الضيق المحدود إلى المنهج الواسع الرحيب ، فدرس تاريخ الأمم فى جنب دراسته القانون الجديد ، كالقانون المدنى

و القانون الدولى و القانون العام و أصول المرافعات و أسس القضاء ، فكأنه يكون نفسه للغد الذى يترقبه ، فالأمة العربية كانت فى حاجة إلى مثل هؤلاء العلماء الذين يعرفون آثار الآباء معرفة تامة ، و يكونون متصلين بالقضايا العربية و مشكلاتها اتصالا وثيقاً ، فنى دراساته الأزهرية تقوى فى اللغة العربية وعرف أسس البلاغة و الفصاحة ، و تعرف على المدارس الفكرية الجديدة و القديمة ، و حببت إليه اللغة العربية بحيث لا يرى فيها بديلا ولا لها قريناً ، و فى مدرسة الحقوق الفرنسية درس النظم الجديدة دراسة متينة ، و استطاع من خلال دراسة اللغة الفرنسية أن يعرف علماء الغرب و مذاهبهم الفكرية و الأدبية و الاجتماعية و الدينية ، فكان يقارن بها المذاهب الأدبية العربية ، و كان يجد بوناً شاسعاً بين هاتين اللغتين ، فنى اللغة الفرنسية يرى حياة و حركة و انسجاما و ارتباطاً وثيقاً بينها و بين الشعب ، و كانت اللغة الفرنسة فى تلك الأيام من أوسع اللغات الأوربية ، و كانت تنقل إليها آثار علماء الغرب من البلاد الأوربية المختلفة بين عشية و ضحاها ، و من خلال هذه اللغة استطاع أن يطل إلى العالم الغربى الجديد ، و يرى محاسنه و معايبه ، ثم يصل إلى العلل والأسباب التى يقوم بها و يتطور ، و من خلال اللغة الفرنسية وصل إلى آثار اليونان و الرومان ، هذه الدراسة الجديدة و القديمة جعلت الزيات ناضج الفكر ، مستقيم الأسلوب ، سديد الرأى ، رزين العقل ، و جعلته متسامياً فى القضايا الاجتماعية و الدينية . و شديداً عنيفاً فى القضايا الخلقية والعقائدية ، فكان يرى أن اللغة العربية لا يمكن أن تعيش بدون الاسلام ، كما أن الاسلام لا يمكن أن يبقى دون اللغة العربية ، و هذه الفكرة رافقت جميع أدوار حياته و صاحبتها إلى يوم مماته ، و بعد التخرج من الأزهر و مدرسة الحقوق الفرنسية عين معلماً

فى مدرسة من مدارس مصر . فكان أستاذاً ناجحاً قوياً ، ثم ذهب إلى العراق ليكون أستاذاً فى دار المعلمين العليا ببغداد ، فأبدى هناك براعته و لباقته فى فن التدريس ، و من هنا بدأ يكتب الأبحاث و المقالات و نال بها إعجاب الباحثين و الأدباء ، كما ترجم بعض الآثار الفنية الفرنسية إلى اللغة العربية ، ظهرت من خلالها مقدرته الفائقة فى فن الترجمة ، و فى أثناء إقامته ببغداد اتصل بالزعماء المصلحين و المحققين و الدارسين كما استفاد من تدريسهم ، فتقوت لغته و تحسن أسلوبه ، ومن حسن الحظ أن النهضة العربية المعاصرة قامت على كواهل المعلمين و المدرسين من أواخر القرن التاسع عشر إلى أوائل القرن العشرين ، فقد كان الشيخ محمد عبده معلماً فى الأزهر و فى دار العلوم ، و كان لطفى السيد أستاذاً فى جامعة القاهرة ، و أصبح فيما بعد أستاذ الجيل ، و كان طه حسين قد نال الشهرة يوم كان أستاذاً فى كلية الآداب بجامعة القاهرة وكان المازنى معلماً ناجحاً ، وكان الأستاذ العقاد أستاذاً محبباً ، فبفضل هؤلاء الأعلام تقدمت اللغة وتطورت المعارف العربية وفى أيام قيامه ببغداد نضجت له فكرة القومية العربية التى أساسها الدين وهيكلها اللغة ، فبدأ يحارب المذاهب الغربية المتسربة إلى الأقطار الاسلامية العربية من المجارى المختلفة ، قضى فى بغداد ثلاث سنوات ، ثم غادرها مهتما بمستقبله كما يهتم به كل شاب يستمر فى التعليم أو ينصرف إلى وظيفة حكومية أخرى ، وكانت مؤهلاته العلمية و الأدبية و اللغوية تسهل له أن يطرق أى باب من أبواب الرزق ، فكان أزهرياً و حقوقياً ، و عالماً باللغة الفرنسية ، و كان ذلك يمكنه أن يكون قاضياً فى محكمة القضاء ، و موظفاً فى وزارتى الخارجية والداخلية أو فى السلك الدبلوماسى ، و فكر الفتى كثيراً ، ثم وصل إلى نتيجة نهائية بأن الصحافة هى أحسن شئ تناسبه وتطابق ميوله ، وبها يستطيع أن يخدم لغته و دينه و شعبه ،

و يكون حراً طليقاً يجرى مع عواطفه حيث جرت و تحركت ، فاستشار زملاءه الشباب ، فوافقوا فكرته ، بل رحبوا بها ، و فى سنة ١٩٣٣م صمم على إصدار مجلة علمية أدبية أسبوعية سماها « الرسالة » فكانت هذه المجلة خير رسالة نشر فيها أفكاره و قامت بها أسباب المحبة و الوداد بين كتاب البلاد العربية كلها ، فلمعت بين صفحاتها أسماء الكتاب البارزين من النزعات المختلفة و الاتجاهات المنوعة ، و بدأ الناس يقرأون فى المجلة أساليب أدبية مختلفة يتعرفون بها نزعات دينية و سياسية و اجتماعية ، و بها بدأ يحبب إلى الناس اللغة العربية و يعرفهم بالثقافة الاسلامية ، و يدلهم على منابع الخير ، و يحذرهم من الفتن و الضلال ، و يغرس فى قلوبهم حسب الحياة الكريمة ، وكل ذلك بأسلوب قوى متين ، لأنه كان يعرف ما فى اللغة من حياة ، و ما فى الكلمة من قوة و سحر ، و المرء لا يكون أديباً و شاعراً و فناناً إلا إذا عرف هذه الحقيقة بكاملها ، فلكل كلمة نبراتها وهمساتها ، و العالم باللغة ينقل هذه الهمسات و النبرات ، ولا يتأتى ذلك إلا للمرء الذى تهتز أوتار قلبه و أحاسيسه إذا قرأ عبارة ناصعة أو وقع على جمله بديعة وفكرة مشرقة أو وصل إلى كلمة قوية متحركة ، يقول الزيات فى مقدمة كتابه دفاعاً عن البلاغة :

« فى اختيار الكلمة الخاصة بمعنى الابداع و الخلق ، لأن الكلمة ميتة ما دامت فى المعجم ، فاذا وصل الفنان الخالق بأخواتها فى التركيب و وضعها فى موضعها الطبيعى من الجملة دبت فيها الحياة و سرت فيها الحرارة ، وظهر عليها اللون و نالها البروز ، و الكلمة من الجملة كالقطعة فى الآلة إذا وضعت موضعها على الصورة اللازمة و النظام المطلوب تحركت الآلة ، و إلا ظلت جامدة ، و للكلمات أرواح كما قال سولبان (١) .

(١) المصدر نفسه ص ٦٢٧ لعام ١٩٦٧م .

و قد ظهرت مقدرة الأستاذ الزيات فى الترجمة و مهارته فى النقد عندما ترجم بعض الآثار الفنية الفرنسية إلى اللغة العربية ، و نال بها إعجاب الكتاب و الباحثين و الفنانين ، حتى إن الناس ما كانوا يفرقون بين النقل و الأصل ، و إنى أعتقد أن مهمة الصحافة تحتاج إلى المهارة الفنية و اللباقة الأدبيـــة و اللغوية ، فالصحافى لا يكون ناجحاً إلا إذا كان ذا موهبـــة فنية نادرة و لباقة لغوية بارعة ، لأنه بالصحافة يخاطب الطبقة العالية ، كما يخاطب الطبقة المتعلمة المتوسطة ، و أحيانا يخاطب الناس جميعاً ، و لا يمكن أن يصل إلى الشعب و يخطب ودهم إلا بالأفكار الناصعة و الآراء الواضحة و اللغة السليمة و البيان الساحر ، و شاء القدر أن يشع نور الرسالة فى قلب الزيات ، فأخرجه فى شكل أنيق و روح قوية و لغة عربية معاصرة مشرقة فى وقت كان العـالم العربى يعيش فى ظلام ، و اللغة كانت كالسفينة تجرى على يبس ، يقول الزيات نفسه عن مصر التى ظهرت فيها الرسالة :

« كان العالم العربى على أثر خروجه من جهالة الأتراك إلى ضلالة الاستعمار يشكو شتات الوحدة و ضعف القومية و ذل الشعبية ، فهو يريد أن يتعرف بعضهم إلى البعض ، و ينضم قاصيه إلى دانيه ، و يربط حاضره بماضيه عن طريق اللغة الواحـــدة ، و الكيان المتميز ، و الوطن المستقل ، و الأدب المتوارث ، و التاريخ المشترك ، و العمل الحافز ، فجمعنا كل أولئك فى مجلة ترتفع عن الاقليمية و تعتز بالعروبة و العربية و تساير ركب الثقافة و المدنية ، و تضطلع بعبء السفارة الفكرية بين المصرى و المغربى و التونسى و الجزائرى و السودانى و الفلسطينى و السورى و السعودى و اللبنانى و العراقى ، فكانت تلك المجلة المرجوة التى قربت البعيد ، و وشجت القرابة ، و جمعت الشملة و سهلت الوحدة و حققت الأمل فى الرسالة » (١) .

« يتبع »

(١) وحى الرسالة للاستاذ الزيات ١٢/٢ .

التفسير و المفسرون

الدكتور يونس النجرامى
تعريب : جعفر مسعود الحسنى الندوى

الشيخ ذو الفقار أحمد النقوى البهوفالى المتوفى سنة ١٣١٦هـ .

ألف كتيباً يحتوى على ٧٣ صفحة وسماه « مرآة التفسير » و قامت مطبعة مفيد عام بآجره بنشره مع كتاب « قضاء الأدب من ذكر علماء النحو و الأدب » فى مجلد واحد .

و هذا الكتاب كفهرس يستطيع به الدارس أن يعرف كل ماتم من عمل حول علم التفسير و المفسرين (١) .

الشيخ أهل الله فقير الله :

له كتاب « ألفاظ القرآن سمى به نجوم الفرقان لتخريج آيات القرآن » طبع فى عام ١٣٣١هـ ، و هو فهرس آيات القرآن الكريم الذى يسهل به البحث عن أى آية من الآيات ، و يوجد هذا الكتاب فى مكتبة ندوة العلماء فى جناح مكتبة الشيخ المحدث حليم عطاء الشخصية (٢) .

الشيخ عبد الحق إله آبادى :

ولد الشيخ عبد الحق شاه محمد بن يار محمد البكرى الحنفى فى نيوان ببلدة إله آباد ، ونشأ بها و ترعرع (٣) و اشتغل بالدراسة من صباه ، و تعلم من

(١) المفسرون الهنود و تفاسيرهم . (٢) أيضاً .

(٣) نزهة الخواطر ج ٨ ص ٢٢٠ .

الأستاذ تراب على اللكهنوى و بايع الشيخ عبد الله الغوركهفورى ، ثم سافر إلى دلهى ، استفاد هناك من الشيخ قطب الدين الدهلوى و غيره من العلماء البارزين، ثم هاجر إلى مكة المكرمة فى عام ١٢٨٣هـ و نال هناك الشهادة فى الحديث الشريف و الاجازة فيه من الشيخ عبد المغنى بن أبى سعيد العمرى (١) .

إقامته فى مكة المكرمة و تدريسه بها :

أقام فى مكة المكرمة نحو خمسين سنة ، و لازم التدريس خلال هذه المدة ، و أفاد الخلق بعلمه و عرف بشيخ الدلائل فى مكة المكرمة (٢) .

وفاتـــه : توفى الشيخ فى مكة المكرمة فى عام ١٣٣٣هـ ، و دفن فى جنة المعلاة فى جنب الشيخ رحمة الله الكيرانوى .

مآثره العلمية : الاكليل على معارك التنزيل

نال كتابا أبى البركات النسفى المتوفى سنة ٤١٠هـ شهرة و قبولا ، وهما كنز الدقائق فى الفقه و مدارك التنزيل فى التفسير ، و كتب الشيخ عبد الحق المهاجر المكى شرحاً لمدارك التنزيل و حقائق التأويل ، و أطلق عليه اسم الاكليل على مدارك التنزيل، وهو فى سبعة مجلدات ضخمة بقطع كبير، وطبع فى عام ١٣٣٠هـ .

الجلد الأول من سورة الفاتحة إلى الآية الثامنة والثلاثين من سورة البقرة .

الجلد الثانى من الآية التاسعة و الثلاثين إلى نهاية السورة .

الجلد الثالث من سورة آل عمران إلى سورة المائدة .

الجلد الرابع من سورة الأنعام إلى سورة التوبة .

الجلد الخامس من سورة يونس إلى سورة الروم .

(١) نزهة الخواطر ج ٨ ص ٢٢٠ . (٢) نزهة الخواطر ج ٨ ص ٢٢١ .

الجلد السادس من سورة لقمان إلى سورة الحجرات .

الجلد السابع من سورة ق إلى آخر سورة القرآن الكريم .

وحاول الشيخ عبد الحق فى هذا التفسير أن يكون كتابه « شرح المدارك » سهلا ميسوراً ، و قام بشرح الكلمات العويصة ، و بحث اللغات ، و ناقش المسائل النحوية ، و بسط القصص القرآنية و أطنب فى ذكرها ، و قام بتعريف الفرق الضآلة إذا احتاج إلى ذكرها ، و بالاضافة إلى ذلك عنى باستنباط المسائل عناية فائقة ، أتى بالأدلة الفقهية لأبى حنيفة النعمان و الامام الشافعى و غيرهما من الأئمـــة و الفقهاء ، و أشار إلى كتاب آيات الأحكام للجيون و كتاب الهداية ، و الكتب الفقهية الأخرى فى هذا الصدد .

ويعد هذا الكتاب من الكتب المهمة النافعة فى هذا الموضوع على أساس هذه المزايا المذكورة أعلاه (١) .

الحافظ محبوب على :

له كتاب سماه « كنز المتشابهات » صدر من دائرة المعارف سنة ١٣٤٢هـ و يتكون من ٤٠٣ صفحة ، جمع فيه المؤلف المتشابهات (٢) .

الحافظ عنـاية الله :

ألف كتاباً سماه « آيات للسائلين » أصدرته مطبعة كريمى بلاهور فى عام ١٣٤٨هـ ، وفسر فيه المؤلف آيات من بداية سورة الفاتحة إلى نهاية سورة النساء.

الشيخ حميد الدين الفراهى :

ولد الشيخ حميد الدين الفراهى بقرية فريا فى بلدة أعظم كراه سنة ١٢٨٠هـ ،

(١) المفسرون الهنود و تفاسيرهم .

(٢) راجع للتفصيل يادرفتگان للعلامة السيد سليمان الندوى .

و كانت أسرته تعد من الأسر العلمية المحترمة ، و كان الشيخ حميد الدين الفراهى ابن خال العلامة شبلى النعمانى (١) .

تلقى دراسته الأولى فى بيته كما كانت العادة فى ذلك الوقت ، وحفظ القرآن الكريم ، ثم تعلم اللغة الفارسية ، و تعلم اللغة العربية من العلامة شبلى النعمانى، وقرأ على الأساتذة المعروفين فى تلك الأيام ، فقرأ الكتب الفقهية على العلامة عبد الحى فرنجى محلى ، و تلمذ عليه مدة ، ثم سافر إلى لاهور ، وحضر إلى الأديب البارع الشيخ فيض الحسن ، أكمل دراسته فى اللغة العربية عنده ، وبعد ما انتهى من دراسة العلوم الدينية و العصرية التحق بجامعة عليجراه الاسلامية لتعلم اللغة الانجليزية ، و هو فى العشرين من عمره حينذاك ، و بالاضافة إلى دراسة هذه العلوم المختلفة درس الشيخ حميد الدين الفراهى الفلسفة الحديثة ، و كان البروفيسر آرنلد أستاذ الفلسفة الشهير أستاذاً فى جامعة عليجراه الاسلامية فى ذلك الوقت ، ثم نال الشيخ حميد الدين الفراهى شهادة الليسانس من جامعة إله آباد (٢) .

وظيفته : عين الشيخ حميد الدين الفراهى أستاذاً فى اللغة العربية فى مدرسة الاسلام بكراتشى ، وقضى عدة سنوات هناك ، وخلال هذه المدة رحل إلى سواحل العرب ، و الخليج الفارسى كمترجم مع الحاكم الانجليزى « اللورد كرن » ، و بعد عودته من هناك عين أستاذاً فى جامعة إله آباد بعد ما أقام عدة سنوات فى جامعة عليجراه ، ثم دعى إلى حيدر آباد ، و عين عميداً لدار العلوم حيدر آباد .

(١) ترجمة القرآن الكريم للعلامة الفراهى التى طبعت فى مطبعة جمال فى عام ١٩٧٢م .

(٢) نفس المصدر

خيل له خلال إقامته هناك تأسيس جامعة يدرس فيها جميع العلوم العصرية و الدينية بلغة أردو ، و تحققت هذه الأمنية بانشاء الجامعة العثمانية بحيدر آباد .

مدرسة الاصلاح سراى مير أعظم جراه :

عاد الشيخ بعد ما استقال عن وظيفته فى دار العلوم حيدر آباد ، و وجد فرصة للعناية بشئون مدرسة الاصلاح ومجمع دار المصنفين اللذين كانت له مشاركة فى إدارتهما وشئونهما العلمية و الدينية منذ البداية ، لكن انشغال ذهنه بحيدرآباد و مسئولياته حالت دون أن يركز على مدرسة الاصلاح و مجمع دار المصنفين تركيزاً كاملا ، وينقطع لهما ، و الجدير بالذكر أن مدرسة الاصلاح مدرسة دينية عربية تقوم على نظريات العلامة شبلى النعمانى والشيخ حميد الدين الفراهى، وبذل الشيخ حميد الدين الفراهى معظم مجهوداته و أكثر أوقاته فى تطويرها وتدعيمها .

خلقه و مزاياه الشخصية :

يقول الأستاذ أمين أحسن الاصلاحى عن خلقه و مزاياه الشخصية .

« كان محتشما ومتعففاً منذ بداية أمره ، و كان يتميز بالصدق والصبر » .

و استطرد يقول ! « كان يحب العدل غاية الحب ، و كان صريحاً فى المعاملات أشد الصراحة و البيان » .

و أضاف يقول ! كان مستوى معيشته لم يرتفع عن مستوى الطلاب و الأساتذة الفقراء ، يأكل معنا ما يتيسر من العدس و سميذ العصيدة ، و يلبس ملابس خشنة كما يلبسها الطلاب البائسون فى المدرسة ، ويجلس معنا على الحصير البالى ، و لا يلبس فيه شئ يميزه عن جلسائه و يفوق به عن أقرانه إلا الوجه المشرق ، و الجبين اللامع .

وفاته : كان يتمتع بصحة طيبة لكنه أصيب بمرضين مؤلمين فى آخر حياته، وهما صداع فى الرأس و كان يصيبه كثيراً ، و توقف البول الذى كان يعانى منه بين آونة و أخرى ، و تألم بذلك مراراً ، و لما واجه هذا المرض مرة أخيرة اضطر إلى عملية جراحية و سافر إلى مقهرا لاجراء هذه العملية الجراحية لكن العمليـــة لم تكن ناجحة ، و اشتد المرض و لبى نداء ربه فى شهر جمادى الثانيه عام ١٣٤٩هـ

خدماته العلمية : « نظام القرآن و تأويل الفرقان بالفرقان » .

كان الشيخ حميد الدين الفراهى يريد أن يؤلف تفسيراً خاصاً باسم نظام القرآن و تأويل الفرقان بالفرقان ، لكنه من سوء الحظ لم يتمكن من إكمال هذا العمل الجليل ، فنشرت له عدة اجزاء متفرقة .

أكد الشيخ حميد الدين الفراهى فى تفسيره هذا أن القرآن الكريم مرتب مع ألفاظه و معانيه ، و أما التقديم و التأخير اللذين يوجدان فى بعض الآيات والسور فهو من أجل حكمة إلهية أو بلاغة بيانية و كان يرى أن القرآن الكريم يفسر آياته بنفسه .

كان الشيخ حميد الدين الفراهى يذكر مسائل مستنبطة من السورة التى يريد تفسيرها قبل أن يفسرها ، و يشير إلى الربط القرآنى و شأن نزول السورة و توجيهات المسائل .

السور التى فسرها الشيخ حميد الدين الفراهى .

(١) تفسير سورة اللهب . (٢) تفسير سورة الكافرون .
(٣) تفسير سورة الفيل . (٤) تفسير سورة التين .
(٥) تفسير سورة الكوثر . (٦) تفسير سورة الشمس .

(٧) تفسير سورة العبس . (٨) تفسير سورة القيامة .
(٩) تفسير سورة التحريم . (١٠) تفسير سورة المرسلات .
(١١) تفسير سورة الذاريات .

و روعيت فى هذه التفاسير كلها المميزات التى ذكرت أعلاه .

مفردات القرآن :

بين الشيخ حميد الدين الفراهى فى هذا الكتاب معانى لألفاظ القرآن المهمة ، و أوضح مفهومها الحقيقى لتسهيل قراءة تفسيره نظام القرآن .

وصرح فيه أن القرآن الكريم يخلو من الألفاظ الغريبة ، ولا يوجد له نظير فى النظم و الضبط و هو أسهل بكثير من خطب العرب القديمـــة ، و محاوراتهم ، و أخبارهم ، و أمثالهم ، و حكمهم .

و اختار ٧٧ لفظاً لم يجد المفسرون تفسيرها أو أخطأوا فى شرحها وتوضيحها.

كان الشيخ حميـــد الدين الفراهى يبين معانى لغوية أثناء شرح الألفاظ ، و يستشهد بأشعار العرب و الصحف السماوية الأخرى بطريق يدل على براعته فى اللغة وعمق نظره فى علوم القرآن ، و حسن معرفته بأشعار العرب .

الامعان فى أقسام القرآن :

ذكر فيه الشيخ مباحث أصولية تتعلق بأقسام القرآن ، و ناقش جوانب هذه القضية كلها نقاشاً علمياً شافياً .

الرأى الصحيح فى من هو الذبيح :

أثبت فيه العلامة الفراهى أن إسماعيل عليه السلام هو الذبيح ، و استدل فيه بآيات القرآن و ما ورد فى التوراة المحكمة ، و عارض فيه ما يدعيه أهل الكتاب و أبطله .

فى ملكوت الله :

بحث فيه فى المبادىء الالهية و القوانين التى تعمل فى خلقه و تدبيراته .

القائد إلى عيون للعقائد :

ذكر فيه العلامة الفراهى عقائد القرآن النظيفة التى تبعد كل ما يقوله المبتدعون ، ويقع فيه الفلاسفة و المتكلمون .

فاتحة نظام القرآن و تأويل الفرقان بالفرقان :

هذا الكتاب مجموعة ثلاثة كتب تشتمل على مقدمة تفسير نظام القرآن ، و تفسير آية بسم الله ، و تفسير سورة الفاتحة ، ذكر الشيخ حميد الدين الفراهى فى المقدمة مبادىء تفسيره كلها ، وبحث فى المبادىء الأصولية التى يحتاج إليها كل دارس يمعن النظر فى القرآن ومعانيه ، وعد هذه المبادىء الأصولية سبعة عشر مبدءاً .

دلائل النظام : بحث فيه الشيخ فى النظم القرآنى الذى كان من أجله بدأ يؤلف هذا التفسير .

أساليب القرآن : ذكر فيه الأساليب القرآنية .

التكميل فى أصول التأويل :

هذا الكتاب أيضاً يتعلق بالقرآن الكريم ، و أما الكتب الأخرى التى لم تطبع بعد ، و يوجد لها نسخ مخطوطة فى الدائرة الحميدية بسرائى مير أعظم جراه ، فهى كما يلى .

١— الرائع فى أصول الشرائع . ٢— أحكام الأصول بأحكام الرسول .
٣— كتاب العقل و ما فوق العقل . ٤— الاكليل فى شرح الانجيل .
٥— أسباب النزول . ٦— تاريخ القرآن . ٧— أوصاف القرآن .
٨— فقه القرآن . ٩— حجج القرآن . ١٠— كتاب الرسوخ فى معرفة الناسخ و المنسوخ . ١١— رسالة فى اصلاح الناس . ١٢— الأزمان و الأديان . ١٣— كتاب الحكمة . ١٥— القسطاس .

نظرة على تاريخ المسلمين فى نيبال

بقلم : د / ظفر الاسلام خان

لقد عرفت مملكة نيبال الجبلية الاسلام منذ قرون طويلة .. فيقال إن « معلما » مسلما جاء إلى (كاتمندو) من كشمير سنة ١٥٢٤ و آمن على يديه بعض الأهالى ، فبنى مسجد نيبال الأول المعروف بالتكية الكشميرية بكاتمندو العاصمة .

و كانت أجزاء من نيبال الحالية قد عرفت الاسلام حتى قبل ذلك ، فكان حاكم بنغال شمس الدين إلياس قد فتح أجزاء من نيبال فى ١٩ سبتمبر ١٣٤٩ ، و لكنه لم يقم بها طويلا طبقاً لدراسة ظهرت بجريدة ريديانس الهندية (١٢ أغسطس ١٩٨٨) و أصبحت نيبال إحدى الملاجئ الرئيسية لمناضلى الحرية الهنود ، و أكثرهم مسلمون ، فى أعقاب فشل الثورة الهندية الكبرى على الاستعمار الانجليزى سنة ١٨٥٧ ، و كانت البيغوم « حضرت محل » زوجة حاكم أوده واجد على شاه قد هربت إلى كاتمندو مع ابنها برجيس قدر ، وهى مدفونة بالقرب من المسجد الجامع بكاتمندو ، وكانت نيبال ملجأ الشيخ سرفراز على شاه من دهلى الذى أجرى تحسينات على المسجد الجامع ، وهو مدفون فى ساحته .

و كان الاحصاء النيبالى لسنة ١٩٨١ قد قدر عدد سكان البلاد بـ ١٥/ مليون نسمة ، بلغت نسبة المسلمين فيهم ٦ ر ٢ فى المائة (و التقدير السكانى الحالى هو ١٩ مليونا) ولكن التقديرات الاسلامية تختلف عن هذا كثيراً ، فيقدر المسلمون أن عددهم لا تقل من ٨ إلى ١٠ فى المائة ، وهم يقولون ، على سبيل المثال ، إن الاحصاء المذكور يقول عن بعض المديريات بأنها خالية من المسلمين بينما هناك تواجد ملحوظ لهم فيها ، فالمسلمون يتواجدون فى كل مناطق نيبال بما فيها المناطق

الجبلية الوعرة ، و المسلمون لا يختلفون عموماً عن جيرانهم الهندوس من ناحية الثقافة و المظهر الخارجى ، و إن كانوا يتحدثون أيضاً بالأردية إلى جانب اللغة النيبالية و اللهجات المحلية الأخرى ، و يلاحظ فى بعض مناطق نيبال أن عامة المسلمين قد تأثروا بغيرهم ثقافياً و اجتماعياً فأخذوا يحتفلون بأعياد غير المسلمين ، و يحتفظون بصور شركية فى بيوتهم ، و يقدمون التحية لأسلافهم الموتى ، و يقلدون غير المسلمين فى مراسم الزواج و دفن الموتى ، و كما هو ملاحظ فى الهند ، فان النظام التعليمى يساعد على انتشار هذا النفوذ .

و مسلمو نيبال منقسمون إلى أربع مجموعات اجتماعية . أولها الكشميريون الذين هاجر أسلافهم إلى نيبال قبل عدة قرون وهم عموماً تجار و سياسيون و موظفو الحكومة ، وهم يقلدون فى أسلوب حياتهم الاجتماعية و الثقافية الطبقة العليا من غير المسلمين ، و المجموعة الثانية تعرف بـ « مسلمى التبت » الذين يحافظون على ثقافتهم الأصيلة و صلاتهم بالتبت و الصين ، وهم جالية مترابطة وليس واضحاً متى جاؤا إلى نيبال أول الأمر ، والمجموعة الثالثة تتكون من « المسلمين الهنود » الذين هاجر أجدادهم من الهند ، و كان حكام نيبال يشجعون الهنود منذ أوائل القرن التاسع عشر على الاستيطان بمنطقة ترائى القاحلة الملاصقة للهند ، و المجموعة الرابعة هى المسلمون من أصول نيبالية وهم أيضاً يعيشون عموماً فى منطقة ترائى وهم بصفة عامة مهنيون و كثيرون منهم موظفون فى الحكومة .

و يبلغ عدد السكان المسلمين بالعاصمة كاتمندو نحو ٦/ آلاف من مجموع نحو ربع مليون و يوجد بكاتمندو ثلاثة مساجد ، اثنان منها قريبان من القصر الملكى ، و يسمى المسجد الكشميرى بـ « تكية بانشا الكشميرية » ، و هناك مقبرة ملحقة به وهى مخصصة للكشميريين المستوطنين بالمدينة ، ثم هناك المسجد الجامع النيبالى ،

الذى بنى قبل أكثر من أربعة قرون ، وهو الجامع الأكبر و تؤمه غالبية المسلمين فى المدينة لأداء صلاة الجمعة ، و المسجد الثالث جامع صغير يسمى بالمسجد العراقى وهو يقع فى وسط المدينة .

و نيبال هى الدولة الوحيدة فى العالم التى يعلن دستورها أنها « دولة هندوسية » و يوجد هنا قانون مدنى و جنائى عام يطبق على كل المواطنين ، والحرية الدينية تنحصر فى ممارسة كل مجموعة دينية دينها و طقوسها ، أما تغيير الدين و الدعوة إليه فهو من المحرمات التى يعاقب عليها القانون ، و الهندوس النيباليون الراغبون فى اعتناق الاسلام يتوجهون إلى الهند ليقوموا بتغيير دينهم علانيـة و بصورة قانونية ، و تعدد الزوجات محرم ، ولا حق للبنات فى ملكية آبائهن إلا إذا بلغن سن ٣٥ سنة و بقين عوانس ، ولم تعترف الدولة النيبالية بعد بمطالب المسلمين بتطبيق قوانين الأحوال الشخصية الاسلامية عليهم من خلال المحاكم .

و إلى وقت قريب كانت هناك مدرسة إسلامية واحدة فقط فى كاتمندو ، أما الآن فقد انتشرت المدارس الاسلامية فى كافة أنحاء نيبال ، إلا أن الطلبـة النيباليين يتوجهون عموماً إلى الهند للدراسة بالمؤسسات التعليمية الاسلامية ، و من المنظمات الاسلامية الجديدة « إسلامى يووا سانغ » (منظمة الشبيبة الاسلامية) و مركز التوحيد بكاتمندو ، و منظمة الشبيبة ، التى أنشئت سنة ١٩٨٥ ، نشيطة فى مختلف أنحاء نيبال من خلال عقد مؤتمرات و حلقات دراسية .

و إلى وقت قريب لم تكن نيبال تعرف اضطرابات معادية للمسلمين ، ولكنها بدأت الآن تشهد اضطرابات من هذا النوع من جراء السموم التى نشرها فى نيبال المتعصبون الهندوس القـادمون من الهند ، و رغم الحريات الجديدة التى يكفلها الدستور الجديد يبدو أن أياماً عصيبة تنتظر مسلمى نيبال — لا قدر الله ذلك — .

المخيم التربوى الاسلامى الثانى لرابطة الطلاب المسلمين الروهانجيين أركان بورما

أقامت رابطة الطلاب المسلمين الروهانجيين المخيم التربوى الاسلامى الثانى فى مدرسة الامام السيد أحمد الشهد الواقعة فى كتولى بمدينة لكهنؤ (الهند) ما بين ١٠—١٢ من شهر محرم عام ١٤١٢هـ، الموافق ٢٣—٢٥ يوليو عام ١٩٩١م بتعاون مالى من المحترم أمان الله خان الأمين العام الأسبق للاتحاد الاسلامى العالمى للمنظمات الطلابية ، و كان المخيم على مستوى عام حيث حضر فى المخيم عدد كبير من الطلبة المسلمين الروهانجيين من أركان بورما الدارسين فى جامعات الهند و مراكزها العلمية ، كما شرفه الممثلون من الهند و باكستان و بنغلاديش و بورما بقدومهم ، حضر المخيم كذلك كبار العلماء من مختلف المعاهد الدينية لالقاء محاضراتهم القيمة .

منهم فضيلة الشيخ الأستاذ سعيد الأعظمى الندوى رئيس تحرير مجلة البعث الاسلامى المؤقرة ، و فضيلة الشيخ السيد سلمان الحسينى النـــدوى وكيل كلية الشريعة لندوة العلماء .

و قد أحرز هذا المخيم نجاحاً باهراً للطلاب الروهانجيين ، و جدير بالذكر أنه سوف ينعقد المخيم على المستوى العالمى تحت فرع بنغلاديش فى العام القادم، بمشيئة الله تعالى ، كلل الله مساعينا بالنجاح .

و هذه الرابطة للطلاب المسلمين الروهانجيين منظمة وحيدة فى أرض أركان المحتلة أسست عام ١٩٧٧م لدفع ما يواجه المسلمون فيها من اضطهاد و عذاب و رفع الاحتجاج ضده و نشر الفكر الاسلامى الصحيح فى النشء الجديد و لتوحيد

الشباب المسلم فى أركان على رصيف واحد على أساس الكلمة الواحدة، وهى الاسلام و لايقاظ غيرتهم الايمانية و الحمية الدينية ، حتى لا يندمج مسلمو أركان فى المجتمع الاشتراكى البورمى .

و إن رابطة الطلاب المسلمين الروهانجيين لم تزل تبذل سعيها و جهدها منذ خمسة عشر عاماً باستمرار فى مجال تحقيق أهدافها السامية بأساليب شتى ، ولها فروع فى أركان ، بنغلاديش و الهند و باكستان و الامارات العربية المتحدة ، و المملكة العربية السعودية ، و قد عقدت لها المخيمات الاسلامية قبل ذلك فى الهند و بنغلاديش و باكستان .

ولا شك أن هذه الرابطة أصبحت فى أركان رمزا للاخوة الدينية و رفع الظلم من الطلاب الروهانجيين و تحرير أركان من براثن الكفر ، وهى جند الله و رسوله ﷺ ، ندعو الله تعالى أن يثبت اقدامنا على الدرب .

ولا بد من الذكر أن كثيراً من إخواننا من الطلاب الروهانجيين غادروا أوطانهم مهاجرين إلى بلدان اسلامية مختلفة بعدما تعرضوا للظلم و الاضطهاد من أعداء الله و رسوله ﷺ ، وهم يعيشون فى تلك البلدان حياة ضيق وضنك و اضطراب شديد ، فنوجه الالتماس إلى المسلمين فى العالم كله أن يمدوا أيدى معونتهم إلى أولئك الاخوة المسلمين المظلومين .

(و الله فى عون العبد ما كان العبد فى عون أخيه)

الندوة الفقهية الرابعة فى حيدر آباد (الهند)

عقدت أكاديمية الفقه الاسلامى (الهند) الندوة الفقهية الرابعة باستضافة من دار العلوم سبيل السلام بمدينة حيدر آباد (الهند) فى الفترة ما بين ٢٧—٣٠ محرم سنه ١٤١٢هـ (٩—١٢ أغسطس ١٩٩١م) على دعوة من فضيلة الشيخ محمد رضوان القاسمى ، رئيس دار العلوم سبيل السلام .

أما الموضوعات التى اختيرت لهذه الندوة فهى على ما يأتى :

١— النظام الاسلامى للبنوك .

٢— مكانة التأمين الشرعية للمسلمين فى الهند ، فى الظروف الحالية .

٣— صور خاصة للنظام العالمى للمبادلة المالية .

بحثت الندوة هذه الموضوعات و غيرها من المواضع الفقهية المهمة و جرت حولها مناقشات فى ضوء الكتاب و السنة ، و قد أسهم فيها كبار علماء الفقه و أساتذة الشريعة الاسلامية ، فى جو من التعاون الذى كان يسود الندوة فى جميع جلساتها ، و أسفرت الندوة عن قرارات فقهية مهمة ، و انتهت بنجاح .

العدد ٢٣ / من مجلة « الجامعة الاسلامية »

وصل إلينا العدد ٢٣/ من مجلة « الجامعة الاسلامية » التى تصدرها مرتين فى السنة « رابطة الجامعات الاسلامية » من مقرها بالرباط (المغرب) .

و قد تضمن هذا العدد البحوث التالية :

١— الدكتور حسين حامد حسان : المسؤولية عن أعمال الصيانة فى اجارة المعدات .

٢— الدكتور رشاد محمد سالم : مصادر الدراسات الاسلامية و العربية فى الجامعات الاسلامية و سبل تطويرها .

٣— الدكتور نعيم نصير : تنظيم إدارة المالية العامة فى الفكر الادارى الاسلامى .

٤— الدكتور شرف القضاة : تعدد الروايات فى الحديث النبوى الشريف ، أسبابه و أحكامه .

٥— الدكتور غازى عناية : الميزانية العامة فى الفكر المالى الاسلامى .

٦— الأستاذ ابراهيم فاضل الدبو : حكم الشريعة الاسلامية فى بدل الخلو .

٧— الدكتور شارنوكاه الحبيب : أضواء على مراكز الثقافة العربية الاسلامية فى السينغال .

٨— الدكتور سعيد الخضرى : الفكر الاقتصادى الغربى فى النمو ، نظرة انتقادية من العالم الاسلامى .

٩— الدكتور عبد القادر رحيم الهيتى : ما انفرد به قارىء البصرة أبو عمرو بن العلاء فى القراءات و توجيهه فى النحو العربى .

و قد تم استحداث باب مهم فى هذا العدد قصد التعريف بالجامعات الاسلامية ، و أول جامعة تناولها هذا الباب بالتعريف هى جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية الموجودة بالمملكة العربية السعودية ، حيث تم استعراض جميع الكليات التى تنتمى إلى هـذه الجامعة و تبيان أنواع الدراسات و التخصصات الموجودة بها ، كما تعرض هذا الباب إلى شروط قبول الطلبة السعوديين و الأجانب .

و هناك باب آخر تطرق إلى التعريف بندوة الجامعات الاسلامية فى أفريقيا « الواقع و المستقبل » التى نظمت على هامش اجتماعات المجلس التنفيذى لرابطة الجامعات الاسلامية بتعاون مع جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الاسلامية بالجزائر ، و هكذا تم استعراض نص الكلمة التى ألقاها رئيس رابطة الجامعات الاسلامية ، و كذا عناوين المداخلات و البحوث التى ساهم بها السادة الأساتذة الأجلاء فى هذه التظاهرة الثقافية العربية ، و فى نهاية هذا الباب أدرجت التوصيات التى خرجت بها هذه الندوة .

كما أن العدد يحتوى على دليل المجلس العالمى لامتحانات المدارس العربية و الاسلامية مبينا أهميته و الخطوات التنفيذية فى إنشائه و كذا أهدافه و أجهزته ، كما تطرق هذا الباب للتخصصات و المناهج التى يقدمها هذا المجلس و كذا الشهادات و الامتحانات و المدارس التى يتعاون معها .

عدد ممتاز لمجلة « البلاغ » الشهرية

صدر العدد الممتاز لمجلة « البلاغ » التى أصدرها فضيلة الشيخ مختار أحمد

الندوى أمير جماعة أهل الحديث لعموم الهند من مركزه العلمى « دار المعارف » فى بمباى (الهند) و قد استكملت هذه المجلة عاما واحد من عمرها ، و فى خلال هذه المدة القصيرة وفقت إلى تقديم مواد دسمة ، علميـــة و دينية و إصلاحية و تربوية ، شعارها قول الله تعالى « هذا بلاغ للناس و لينذروا به و ليعلموا أنما هو إله واحد ، و ليذكر أولو الألباب » .

و أمامنا الآن العدد الممتاز الذى أصدر بمناسبة مرور عام واحد على صدور المجلة ، وهو يحتوى على بحوث علمية و دينية و اجتماعية و فقهية و تربوية و دعوية بأقلام كبار العلماء و الكتاب الاسلاميين ممن يعرفون بكتاباتهم الغنيـــة فى الموضوعات الاسلامية و الفكرية ، و يتميزون بدراساتهم المحايدة و آرائهم القيمة .

إن العدد الممتاز يعتبر بمثابة باقة زهور جمعت بين ألوان من الرياحين و الأزهار ، و قدمت صورة جميلة جذابة للناظرين ، حيث إنه يحوى بين صفحاته ألوانا و أنواعاً من البحوث و المقالات و المواد و المعلومات الجيدة القيمة ، قلما توجد فى المجلات و الصحف الدينية اليوم ، وهو مع ذلك لا يخلو من جمال الظاهر من الغلاف الملون ، و الطباعة الأنيقة و العناية الفائقة بالوضع و الترتيب .

صدرت هذه المجلة باللغة الأردية كخطوة أولى و ستلحقها الطبعة العربية — بمشيئة الله تعالى — وهى تجتاز مرحلة الاعدادات اللازمة ، و ستكون همزة وصل بين الهند الاسلامية و العالم الاسلامى العربى و ذريعة تبادل ثقافى و إعلامى بين البلدين .

إن المجلة تتبنى أهدافا دينية و دعوية و تربوية غالية ، فهى مجلة موضوعية ، و شعارها « المسلمون أمة و ليسوا فرقاً » فقد قال الله تعالى « إن هذه أمتكم أمة واحدة و أنا ربكم فاعبدون » .

تهانينا الخالصة على هذا الاصدار الممتاز ، إلى رئيس تحرير المجلة و إلى جميع المشرفين عليها و المسئولين عنها (و قل اعملوا فسيرى الله عملكم و رسوله والمؤمنون) .

الشيخ سلمان خان الندوى ، فى ذمة الله

نعت الأنباء الواردة بشىء من التأخير من بوفال الشيخ سلمان خان الندوى شقيق فضيلة الشيخ محمد عمران خان الندوى رحمه الله ، عميد دار العلوم ندوة العلماء سابقاً ، و ذلك فى ١٧/ من شهر مايو المنصرم ١٩٩١م ، فانا لله و إنا إليه راجعون .

كان الشيخ سلمان مصابا بمرض السكر و النوبة القلبية منذ مدة ، و لكنه رغما من ذلك كان يودى مسئولياته و ينجز أعماله بكل نشاط ، ذاك أنه تولى منصب نائب العميد لدار العلوم تاج المساجد بوفال (الهند) باختيار من شقيقه الأكبر الشيخ محمد عمران خان الندوى رحمه الله ، الذى تحمل مسئولية إمارة دار العلوم تاج المساجد فى مدينة بوفال ، إلى مدة طويلة و تفانى فى خدمتها و إنجاز مشاريعها وضحى فى سبيلها بكل ما ملكه من رخيص و غال ، لا سيما و قد ساورته فكرة استكمال المسجد الجامع للاميرة شاهجان بيغوم ، الذى ظل ناقص البناء ولم تساعدها الظروف فى اكمال أجزائه الناقصة ، ولكن الله سبحانه و تعالى قد ألقى فى روع فضيلة الشيخ محمد عمران خان رحمه الله أن يعقد العزيمة على استكمال أجزائه الناقصة من القبب و المنـارتين العالتين الضخمتين ، و قد صمم العزم على ذلك و جاهد فى سبيله جهاداً عظيماً قلما يوفق شخص إلى مثله مهما كان عالى الهمة ، رابط الجأش ، و متوافر الوسائل ، و اختار لمساعدته فى إنجاز هذا المشروع العملاق و القيام معه جنباً إلى جنب : شقيقه الوفى ذا الهمة العالية و العزيمة الراسخة الشيخ سلمان خان الندوى رحمه الله ، فنال منه ما كان يتوقعه من مساعدة عملية غالية ، بالدوافع الخالصة التابعة لمرضاة الله تعالى فكان شقيقه و وزيره ومساعده وموضع ثقته الكبير .

الشيخ سلمان من متخرجى ندوة العلماء و أبنائها القدامى ، و قد وهب نفسه لخدمة دار العلوم تاج المساجد فى بوفال ، فكان فى رأس قائمة العاملين المخلصين من المسئولين فى دار العلوم تاج المساجد ، حيث إنه قام بأداء مسئوليات منوعة

عادت إليه من قبل اللجنة التنفيذية ، حتى إذا آل إليه منصب نائب العميد لدار العلوم تاج المساجد وضع كل إمكانياته و طاقاته فى رفع مستوى التعليم و الدراسة فيها، ولم يدخر وسعاً فى خدمة الطلبة و الأساتذة و توسعة نطاق العمل و الافادات العلمية و التربوية فيها .

لقد أكرمه الله تعالى بأخلاق عالية و أوصاف متوازنة ، يجمع بين خفة الروح و شفافية القلب و صلابة العقيدة و يتميز بميزة الحب فى الله والبغض فى الله، و بالتواضع و الخلق الجميل ، والكلام اللين ، و بالعزم الراسخ و الفراسة المؤمنة ، لا تأخذه فى الله لومة لائم ، مع ذلك كان لاتفارقه الرزانة و الجدية عند العمل ، و كان يقول لأبنائه « أهمية المنصب فى قيمة العمل ، فلو لا العمل و الجهد لما أغنى عن المرء منصبه ، و إن الانسان يبنيه جهده و تضحيته بالنفس و النفيس ، و ذلك ما ينال القبول فى عين الله تعالى » .

كان ذاصلة عميقة بعمل الدعوة و التبليغ فى الهند فكان يسافر فى سبيل الدعوة إلى مسافات بعيدة يتحمل المشاق و يواجه الصعاب و لكنه كان يرضى بها لوجه الله تعالى رجاء أن يتقبلها منه و يكرمه بالجزاء الأوفى ، و من نعم الله تعالى عليه أنه تشرف بأداء فريضة الحج تلته رحلاته للحج عشر مرات ، كما قد رزقه عشرة أولاد من الذكور الذين قام على تربيتهم الدينية و أشرف على تحفيظهم لكتاب الله تعالى و تعليمهم علوم الدين ، فكلهم يجمعون بين حفظ كتاب الله تعالى و العلم الدينى ، و حتى بناته الثلاث حافظات للقرآن الكريم ، وهل هناك ذخر للآخرة أحسن من هذه الذخيرة ، و فى ذلك فليتنافس المتنافسون .

رحمه الله تعالى رحمة واسعة و غفر له زلاته و أدخله فسيح جناته ، و أنعم عليه مع النبيين و الصديقين و الشهداء و الصالحين و حسن أولئك رفيقاً ؟ .

س — الأعظمى